صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق - ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

كانون الاول

١٩٧٦

بقلم :

في هذا العدد ، تودع مجلة (الثقافة) عاما من حياتها ، وتتطلع الى عام جديد ، تتابع فيه مسيرتها بعطاء أكثر غزارة ، وبخطى ثابتة واثقة .

لقد أكدت (الثقافة) على التزامها بالادب الاصيل الواضح ، البعيد عن أزمة البعثرة التي تغشى أغلب كتابات المرحلة ، كما أكدت على ضرورة رفد أدبنا السلفي ، أسلوبا ومعنى ، بدم جديد يفتح للانسانية آفاقا ابداعية جديدة على مختلف المدارس الادبية .

أن النجاح الذى حققته (الثقافة) في الوطن العربي كله ، انما هو ثمرة التزامنا الذى أشرنا اليه ، ونحمل تبعاته أمانة في أعماقنا ، لتوطيد ما عزمنا على بنائه .

واذا كان لنا من كلمة شكر ، فللمؤسسات الثقافية في الوطن العربي كلها ، لما رفدت به المجلة من عناية ورعاية .

ولنا كبير الامل ، أن تكون مجلتنا في عامها القادم قبلة كل مخلص للثقافة ، ومحج الفكر القومي التقدمي الذى تتطلع اليه أمتنا العربية .

رئيس التحرير

فن الفن

سهيل عثمان

الفن موقف

جرى هذا الحديث بيني وبينه منذ مائة عام فقال تعلم أن الحياة تحب الاختصار والاقتصاد ، وهي في أشكالها الاولى تستخدم جسم الكائن الحي بأجمعه من أجل جميع الوظائف دفعة واحدة ، فجسم الحيوان الوحيد الخلية يستخدم ككل من أجل الغذاء والدفاع والتكاثر والتحرك ، وكلما ارتقت الحياة تمايزت أجزاؤها واختصت وتعاونت في الوقت نفسه • ولكننا على مستوى الحياة نلحظ دائما استخدام العضو الواحد في وظائف متعددة ، فالفم مثلا عند الانسان هذا الكائن الحي الراقي عضو القضم والبلع فضلا عن مهامه الجنسية والدفاعية • وبارتقاء العقل يرتقي الاختصاص المتآزر • وقد كنا تحت أسوار طروادة نصنع الآلهة التي تعبدها أقوامنا وكنا نعلم الناس الحكمة والخلق والمعرفة والسياسة وحتى ضروب كسب الرزق ، أي أننا كنا مكلفين بوظائف متعددة نحاسب على أساسها ، ومع التقدم برز التمايز فقد اختص بالمعرفة الموضوعية المنقسمة واختصت الفلسفة بالمعرفة الشاملة المحيطة واختصت الاخلاق بادارة سلوك الفرد وقيمه واختصت السياسة بادارة شؤون المجتمعات حسب القيم • وهذا الكائن المرهف الهش الذي هو الفن يحاول أن يجد لنفسه مقاما مستقلا مختصا يحترم من خلاله الآخرين ويحترمونه ويتفاعل واياهم •

فقلت له منتصرا اذن فأنت من أنصار الفن للفن •

فأجاب » لا ، ان الفن للفن نظرية تهتم بالشكل وتنصرف اليه وتكاد تستغني به عن كل ما عداه وأما أنا فأعتقد أن الفن موقف • ما دام الفن نتاجا انسانيا فهو موقف ، وانني آخذ الموقف بمعنى واسع مغتن فأجده على أنواع ، فموقف ايجابي وموقف سلبي وموقف حيرة وتردد وان تعليق الحكم والتوقف عن اتخاذ موقف واضح نوع من الموقف كما قيل قديما ان ابطال الفلسفة ضرب من الفلسفة ••

فسألته » ألا يمكن أن يكون الاثر الفني بلا موقف ؟ أليس من الاصطناع أن نبحث عن موقف الاثر الذي لا موقف فيه • فأجاب » لا يمكن ، وذلك لما أسلفت منذ قليل أولا، وبسبب التطور الذي حدث بعد اكتشاف اللاشعور أون ان شئت اختراعه ، فقد أصبح في الامكان العثور على الموقف وان أنكره الفنان ، وأصبح الموقف موجودا وان لم يعرفه صاحبه فالحيل اللاشعورية في الاضفاء والتقمص والتحويل تفسح المجال أمام الموقف الذي تتخذه شخصية الفنان في التسرب الى أثره الفني وان لم يرد هو ذلك أو يعتقد به ، وتستطيع علوم تحليل النفس أن تكتشف ذلك الموقف ، فاللاشعور يستخدم الملامح الظاهرة للاثار الفنية من خطوط وألفاظ وألحان وتقاطيع أجسام صلبة ليعبر رمزيا عن مكنوناته ويخرجها الى النور بشكل مبرقع مقنع خفي عن صاحبها نفسه أحيانا فيغدو الفنان هنا كصاحب الحلم الذي لا يعرف تفسيره •

فقلت له » ولكن الموقف ذو موضوع وعلى هذا فلكل عمل فني موضوعه •

فأجابني » نعم ولا •

فقلت محتجا » لقد بدأت تغرب فأفصح والا اتهمتك بالتناقض •

فقال أما نعم فالحق أن الموقف يتعلق بموضوع وأما لا فلا سباب منها أنني لا أرى العلاقة بين الفن والموضوع علاقة مباشرة بل هي غير مباشرة لانها تجري من خلال موقف الفنان ، ولهذا تتنوع الهامات الموضوعات الواحدة للفنانين المتعددين وقد يختلف الهام الموضوع الواحد بين حالتين من حالات الفنان نفسه • ومنها أنني أنظر الى الموضوع نظرة واسعة فلا أجد مانعا من أن يكون خارجيا أو داخليا فكما يتعلق الفن بحادثة خارجية كالحرب والسلم والطبيعة يمكن أن يتعلق بشأن داخلي كذكرى أو غريزة أو عقدة أو قلق •• وان الفصل صعب بين الداخلي والخارجي في

الاثر الفني الواحد . ومن أسباب (لا) أيضا أن مواجهة الفنان للموضوع ليست مواجهة سلبية تقوم على المحاكاة وانما هي مواجهة فعالة تتم من خلال الموقف فيلحق الموضوع بالفنان بدلا من أن يجري العكس ، وان تحليل الاثر الفني لا يقوم على دراسة موضوعة بمقدار ما يقوم على دراسة مواقفه بالاضافة الى الجوانب الاخرى المقبلة في حوارنا هذا .
فهتفت به « وبصراحة .

فأجاب « بصراحة لست ممن يحكمون على الفن بقيمة موضوعه فالموضوعات يستغرقها الفنان ، واذا كنت أنت متاثرا بالشعر الغنائي الذي يستهدف موضوعا محددا في كثير من الاحيان فلا تنس الموسيقى التي يجهل واضعها موضوعها ، ولا تنس الفن التجريدي والسريالي اللذين أصبحت موضوعاتهما داخلية وغامضة حتى أن المتذوق نفسه كثيرا ما يجد نفسه هو المكلف باختراع موضوع الاثر الذي يتأمله وكل ما ذكرت فنون وتقدم في مجال الفنون . واذا ما أعلن الفنان أنه بلا موضوع فلا تبتئس فقد يكون في هذا الاعلان دلالة على موقف هام .

فقلت له « المهم أنك تلح على الموقف .

فأجاب « نعم ولكنني أفهمه بالمعنى الفسيح الذي رأيته وسوف تراه فلا تتخذ من كلامي ذريعة لتقييد الفنان ثم انني لا أعتمد على الموقف وحده عند تقرير موقفي من الاثر الفني واذا صبرت فسوف نعرض لها .

فابتسمت وأنا أقول متخابثا « لقد كان دورك في الاستعجال على محدثك لانك رددت على ما لم أقصده ، وقد كان قصدي أنك ترى حتما أن معاناة الفنان لموقف ما هي من أهم شروط الفن ، فالفنان الصادق ينطلق من تجربة يمر بها فينقل تأثره وانفعالاته وفكره وكل ما تكون في نفسه حول التجربة عن طريق عمله الفني .

فأجاب « فلنفرض أن قصدك كان هذا ، وأنا على كل حال لا أنكر قيمة الموقف المعاني ولكنني لا أجد مانعا من الموقف المتين .

فسألته » وكيف يكون ذلك .

فأجاب » لست ألومك فأنت من المتأثرين بالشعر الغنائي الذي يقوم خالصه على التجارب المعاناة ، ولكن جرب أن تنطلق من فنون أخرى كفن التأليف المسرحي حيث يضع الموقف نفسه في موضوع الاشخاص الذين يكتب عنهم فينتج المواقف التي يجب أن تصدر عنهم . فشكسبير مثلا في مسرحية (يوليوس قيصر) تبنى موقف المعارضة الجمهورية التي خشيت على النظام الذي كانت تعتبره نظاما ديمقراطيا من تضخم حجم نفوذ يوليوس قيصر بشكل يحل الامبراطورية والديكتاتورية محل الديمقراطية ، واستطاع شكسبير بذلك أن ينصف (بروتوس) بشكل خاص ذلك الرجل الذي ما أكثر ما عد رمزا لنكران الجميل فاذا به انسان قيم سامية . وأرى ان التبني الفني لا يوقع الفنان في الاصطناع والتزييف فضلا عن أنه يوسع ميدانه .

فعلقت بقولي » أرى أنك تقترب من اعتبار الفنان فكرا .

فأجاب الفكر عنصر جوهري من عناصر الموقف ولكن يتضمنه ويتضمن سواه من الانفعالات والخبايا والفن يتضمن الموقف ويتضمن سواه من الشروط الفنية . ليس مما يزري بالفن أن يحتوي على الفكر معرفة وتوجيها ولكن يزري به كفن هو أن يأخذه الفكر فيغدو بحثا علميا أو فلسفيا أو بيانا أو شرحا أو تلخيصا لبعض النظريات ، لقد أساء المعري على عظمته الى كثير من شعره اذ ملأه بالفكر حتى جفت طبيعته الفنية أو كادت .

فأحتججت قائلا ولكن البشر عرفوا ويعرفون كثيرا من الآثار يدخل فيها الفكر والتوجيه العملي في التربية والسياسة والأخلاق والنظرات الكونية وتنطلق من هذه المضامين وتعطيها الاهمية الاولى ولا تخلو مع ذلك من جمال فني فماذا تسميها هو موقفك منها ؟

ففكر هنيهة ثم قال « انه الفن المخامر أو الفن الموظف وخير من ذلك أن يسمى علما أو فلسفة أو تربية أو سياسة عليه مسحة الفن أو يتضمن جانبا فنيا . وان من حق وجوه النشاط الانساني المختلفة أن تستفيد من رونق الفن وجاذبيته وليس مما ينقص الفن أن تستعين به وجوه النشاط الاخرى ولكن على شرط أن تسمى الامور بأسمائها وأن تعرف حقائقها فلا تقدم التربية أو الدعاية أو الفلسفة أو قواعد النحو على أنها فن خالص . ولنبدأ بأنفسنا فأنا أعترف مثلا أننا الان لا نمارس الفن بل نمارس فكرا أو تفلسفا يتضمن جانبا فنيا أو يحمل مسحة فنية بقدر الامكان .

فقلت « واني لمعترف معك ، ولكنني أذكرك بأمر لعلك قد سهوت عنه ، فقد لاحظت في حديثك عن الفن المخامر أنك نظرت اليه فقط من وجهة نظر أصحاب الاهتمامات الاخرى الخارجية عن الفن ، والتي تود

أن تستفيد من الفن ، فهلا نظرت اليه من وجهة نظر الفنان نفسه ، انني أرى أن الفنان أحيانا يدرك أن المناخ الاجتماعي لا يساعد على نشر فنه الخالص فيعمل ـ ورائده في ذلك الاخلاص للفن ـ الى مزج فنه بشيء من محاور اهتمام المجتمع أو أولي الشأن فيه فياتي في أثره الفني شيء من مدح أصحاب الحل والعقد تارة أو بعض الحماسة لافكار المجتمع وعقائده وهو لا يقصد جوهريا كل ذلك وانما يقصد الفن الذي شعر بأنه سيختنق اذا لم يساير هذه الضرورات ولعل هذا يفسر كثيرا من تراثنا الشعري . فأجابني « الحق معك وانني أسمي هذا النوع من الفن بالفن المتسلق وهو لا يخرج على نطاق الفن المخامس ، وهوفاقد لكثير من أصالته بسبب هذا التعمد المصطنع لحشر ما لم يستهو الفنان أصلا وما لا يقبل الانصهار في شخصية الاثر الفني وان التسلق طريق التبعية اذ يبدأ الفنان بتشويه قليل ثم تتسع دائرة الضرورات فاذا به صاحب فن موظف . ولكن ألم تشعر بأننا كدنا أن ندخل في بحث آخر من أبحاث الفن ؟ وهو صلة الفن بالحرية ومن ثم بالالتزام .

الفن حرية :

أجبته « أرى أن موقفك شائك في هذا المجال .

فقال « وهل رأيت مني اليوم الا كل موقف شائك وعلى كل حال فاعلم ـ اذا كنت مستعداً للاصغاء ـ أن الفن في نظري حرية ، وأن الحرية في ميداننا هذا حريتان هما الحرية الخارجية والحرية الداخلية .

قلت « اسمح لي بمشاركتك ، فالحرية الخارجية طبعا هي الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية أي تتحقق بازالة القيود التي تعيق نشاط الفنان والمتذوق من حيث أنظمة الامن وانهاء ضغط العوز والرأي العام عليهما .

قال هذا صحيح ، ولكن الحرية الداخلية هي الاهم ومعناها أن يحرر الانسان نفسه من قيود الطمع و حب الجاه والمنصب والشهرة . واعذرني اذا قررت أنها قد أصبحت في عصركم صعبة جدا ، فقد اتسعت دائرة الحاجات في وجوهكم وتسلخت جلودكم تحت لذع سياطها . لم يعد يكفي أحدكم أن يعيش في بيت يعجز الامير القديم عن تأمينه لنفسه وانما تطلبون القصور الفارهة الفخمة ، ولا يقنع أحدكم بأن يمتطي سيارة عامة لا يشق غبارها جواد الفارس القديم وانما يشعر بأنه حافي الرجلين اذا لم يحصل على سيارة خاصة صنعت للسنة المقبلة ولا ..

فقاطعته « أتنكر على الانسان حقه في حسن البقاء وتأمين الرفاه لنفسه ولعائلته ؟

فأجاب « أبدا وانما أنكر على الانسان أن تنهار ارادته ويبيع وجدانه وقناعاته ومواهبه من أجل عرض كمالي لا تستحق قيمته أن تقارن من بعيد بقيمة ما باع ، واذا كنت أعذر انهيار الجائع بدور تشجيعه على ذلك الانهيار فكيف أعذر من يجد ما يقتات به وبخاصة اذا كان من أصحاب الموهبة ؟ ان صاحب الموهبة العلمية أو الفنية أو الفلسفية حين يبيع موهبته فهو قد باع الانسانية جميعا .

قلت « أصبحت تحاسب أخلاقيا لا فنيا .

أجاب « للحساب الاخلاقي يومه وأنا ما زلت في مجال الفن ، فمن الخير للفنان وانتاجه الفني أن يحتفظ بحريته لان الابداع الفني لا يتعايش مع الاصطناع والادعاء وسيضطر المصطنع الى اللجوء للاليات الجاهزة التي قد يستمدها من انتاجه السابق كما يستمدها من سواه وسيفقد بهذا ان عاجلا أو آجلا كثيرا من المزايا الفنية . وان ينتج الفنان دون أن يحظى مبدئيا بالتقدير الذي يستحق أفضل له من أن يخرج عن ذاته وكما قيل « ماذا يستفيد الانسان اذا ربح العالم وخسر نفسه . ومن هنا تجد أن كثيرا من قادة الفن الفعالين كانوا من المعتقدين بأن موقف الحق كما يرونه خير من دنيا كاملة تقوم على الباطل ولهذا لم يقدروا في حياتهم حق قدرهم ولكن أثرهم هو الذي مكث في الارض بعد أن ذهب الزبد جفاء .

وسألته متخوفا « يبدو لي أنك موشك على مخاصمة الفن الملتزم

وهنا ضحك لاول مرة وهو يقول « لو أنصفت الفن الملتزم لما اتهمتني بتهمتك هذه ، ولكن يظهر أنك لم تتفاعل التفاعل الكافي مع نماذج الفن الملتزم حقا ، ولعل أغلب ما وقعت عليه حواسك هو فن يدعى الالتزام ولذلك ظننت أن الحرية والالتزام على طرفي نقيض مع أن الالتزام يعني النذر الحر ولهذا لست مبدئيا من أعداء الفن الملتزم بل قد يكون الفنان الملتزم أقدر من غيره على متابعة الجهد والصبر على متاعب الانتاج ، ثم ان الفن الملتزم موجود واذا كانت بعض فصائل الفنانين تعلن صراحة أنها ملتزمة بهذه القضية أو تلك فان الفصائل

الادهى منها هي الملتزمة دون أن تعلن ذلك لكي يكون فنها أقرب الى القلوب ويعظم بهذا مفعوله ·

فقلت قبل أن أنسى « ولماذا ذكرت أنك «مبدئيا» لست من خصوم الفن الملتزم ، ان رائحة التحفظ في هذه الكلمة تزكم الانوف ·

فأجاب « أعجبني ذكاؤك الان ، فقد أردت أن أتحفظ من عدة أمور ، أولها الا تتشوه القيم الفنية باسم الحماسة للفن الملتزم أو المزاودة في نصرته بحيث يضيع حق الفن عند الناقدين ومن ثم عند المتذوقين ولو لفترة من الزمن· وثانيهما الا تلتهم القناعة الفكرية أو التوجيهية للملتزم بقية العناصر الفنية فيغدو الاثر المنتج فنا مخامرا أو شيئا آخر غير الفن يتضمن جانبا فنيا أو عليه مسحة من الفن · وثالثها أنه ينبغي التمييز بلا هوادة بين الفن الملتزم وبين المدعي الالتزام فما أكثر ما ضخم المدعون التراث المحسوب على الفن الملتزم مع أنهم أقرب الى أن يكونوا متعهدي حفلات واستعراضات · ولكي لا تعود الى الاحتجاج علي أؤكد لك أن القضية هنا ليست أخلاقية بل هي فنية لان الفنان الملتزم بحق تمتلىء نفسه بقيم الفن ولانه يكون أوسع أفقا في تناول الامور من المدعي الذي ينظر الى عمله كحرفة للكسب المادي أو المعنوي فتعجز شخصيته عن اتخاذ الموقف الصحيح ويظن أن المزاودة وضيق الافق وهدر القيم الفنية تخفي ادعاءه ·

قلت له « والمتذوق ؟

فأجاب « لك الحق فيما أثرت ، ان حاجة المتذوق الى الحرية لا تقل عن حاجة الفنان لها ، فذوقه لن يرهف واستمتاعه بالفن لن يكون كاملا ما لم تصل اليه الاثار الفنية وتعالج أمامه ويشترك في معالجتها بكل حرية · قد يفلح الفنان في أخذ حريته الذاتية اذا أصر على تهيئة جو خاص به ، غير أن مشكلة المتذوق تظل قائمة عندئذ اذ لن يعلم بما ينتج الفنان الا عندما تتوفر الحرية فما أعظم الخسارة لانه لن يعلم بما ينتجه ذلك الفنان الا عندما تتوفر الحرية · أعظم الخطب عند خسارة الحرية الفنية ··

الفن اذكاء :

قلت « لقد ذكرت في كلامك المتعة الفنية فهل كل ما يجنيه المتذوق من الفن هو المتعة ؟

أجاب « لقد أصبحت أسئلتك دقيقة ، اذا شئت المعنى الحرفي فانني لا أعتقد أن المتعة هي كل ما يجنيه المتذوق من الفن وانما هي كلمة اعتدنا على استعمالها للدلالة على استئناس المتذوق بالاثر الفني أو تجاوبه معه واذا ما شئت الدقة فان خير تعبير عن الموقف هو التفاعل فبين الاثر الفني والمتذوق يجري تفاعل وكلما كان هذا التفاعل ايجابيا عدت العلاقة ناجحة ·

فسألته « ومتى يكون التفاعل ايجابيا ؟

فأجاب عندما يتحقق الاذكاء ، وهو أن تشتعل في نفس المتذوق كل الشموع ، أن تستيقظ نفسه وقواه ويصبح مشاركا في عملية الخلق أو مبدعا صغيرا يعمل الفكر والخيال وتنشط فيه الانفعالات نشاطا موجها نحو العوالم التي يفتحها أمامه الاثر الفني ·

فسألت « وكيف يحدث ذلك ؟

فأجاب « من شروط الفن المذكي أنه يتقدم الى النفس بأسلوب غير مباشر بعيد عن التقرير الصريح واذا كانت المباشرة مطلوبة من الفنان القديم أحيانا أو هو معذور عليها فهذا لم يعد مقبولا لان المباشرة اختص بها العلم والتصوير الالي والتوجيهات والقوانين العملية ، وهكذا فالقيمة الفنية ضئيلة للاعمال التي تتحدث عن الجنس حديثا صريحا أو تبرز الانفعالات والافكار بشكل صارخ ، وكلما استطاع الفنان أن يترك المتذوق ينشط ذاتيا للفهم والتأويل كان ذلك أفضل من الناحية الفنية ·

فاحتججت بقولي « فالاثر الفني في نظرك غامض ونحن نشكو الغموض ·

فأجاب « بصراحة نعم ، فالاثر الفني المذكي لا بد أن يكون غامضا الى حد ما ، وتبقى القضية نسبية اذ يبدو ما هو غامض بالنسبة الى مستوى من الحضارة سافرا كالشمس بالنسبة الى مستوى حضاري آخر وان الغموض الذي أنوه به ليس الغموض المعجمي بل ذلك الحجاب الذي يزيد سحر الجمال انه غموض فني يدخل في صميم تكوين الاثر ·

فسألت « وماذا يذكي الاذكاء أيضا ؟

فأجاب « التأنيس ، فالفنان يحيي الموات ويؤنس الاشياء ، ولا يشترط من أجل ذلك تقديم العالم في صورة انسانية واضحة بل أصبح الفنان قادرا على ملء أثره بالمعاني الانسانية عن طريق بعض اللمسات المرهفة في الخطوط أو الالحان أو الالفاظ فاذا بالشحنة الانسانية تفيض أن يتحقق فيها الايحاء الانساني ، وان الفنان الذي يجمد الانسان حتى يحيله الى هشيم أو الى آلة يمتلىء أثره بالمعاني الانسانية التي يستطيع المتذوق المتأمل أن يستوحيها ·

قلت زدني ايضاحا عن الاذكاء ·

أجاب « أتعلم لماذا يقف الناس مشدوهين أمام الاثر القديم ويطيلون الوقوف عنده ربما أكثر من الوقوف عند

بدائع المستحدث ، السبب هو قدرة القديم على الايحاء وبالتالي على الاذكاء • ان القديم اذا غدا قديما حقا أي لم يعد يخشى منه أن يسيطرأو أن يكون عائقا للتقدم يتحقق له الغموض ويبقى ممتلئا بمعان انسانية غير محددة فيشعر المتأمل أنه مكلف باعادة تكوينه في ذهنه واكتشاف معانيه وقد لا يكتشفبل يبدع •

قلت « وأيضا •

أجاب والقدرة على الاذكاء سببت سحر الرائع وتفضيله على الجميل العادي ، فالاخير يريح النفس ويشعرها بالانسجام وأما الرائع فانه يحركها ويفجر طاقاتها ، ألم تقف مرة أمام العاصفة - وهي أثر فني رائع اغنت الطبيعة الانسان عن صنعه - أتذكر كيف انجذبت اليها والتصق انتباهك بها فلا تريد مغادرتها ؟ لماذا ؟ لان حركة مكوناتها الغامضة مليئة بالانسية وان كانت أنسية وحشية ولانها غامضة وبعبارة مجملة لانها تفسح المجال أمام شموع نفس المتأمل لتشتعل بالتأويل والتكوين والتحليق •

قلت « لعلي بدأت أدرك سر النيل والبحر والغابة العذراء والجزيرة المتوحدة ونجم القطب في وحدته واشراقه وصمته البليغ •

قال « ولعلك أدركت سر المأساة فهي على ما تسببه من ألم تتمتع بجاذبية لا تعرفها الملهاة لان خلفيتها المكتئبة تغذى الايحاء والاذكاء ، انها أشبه بالليل والقبو والمغارة التي توقظ النفس بما تحدث من توجس • ولست أقصد بالمأساة ركاما مصطنعا من الحوادث المحزنة بل أقصد تصوير العمق الانساني في الصراع مع الداخل والخارج والشبيه والمخالف • ولنعد الان الى اذكائنا فهل تعلم أن التناغم وسيلة من أهم وسائل الاذكاء •

الفن تناغم :

قلت « أما التناغم فاعرفه فلا تتوقع التعب في الشرح هنا •

قال « لا أصدق أو تضرب لي مثلا •

فألقيت على الفور قصيدة من شعرنا التقليدي المعهود وتوخيت أن تكون من جيده وسألته « ألم تلاحظ التناغم ؟

فسألني « وما هذه الطبلة ؟

قلت « أية طبلة ؟

فقال « أراك تجري على وتيرة واحدة وأراك تكرر بين كل عدد من الكلمات ضربة معينة •

فأجبته « الان فهمت انك تعني الوزن والقافية ، انها ان شئت طبلة سلفنا الفراهيدي نجرها في سوق النحاسين من خيوط شعرائنا الاولين

فقال « وهل تجرون عليها الى اليوم ؟

فأجبته « نعم الى حد كبير فنحن نطرب لها •

فقال تطربون لها لانكم عودتم أنفسكم عليها فالامر بيدكم ان شئتم تفتحتم عن كل نغم جديد ويجب أن يكون التفتح مستهدفا لانه وسيلة وغاية •

فقلت « وقد ارتبطت بنا وارتبطنا بها حتى أصبحنا نخشى على أنفسنا من الزوال اذا هي زالت •

فابتسم وهو يقول « لا أعتقد انكم جماعة هشة الى هذه الدرجة ، فالامم - وأنتم من بينها تغير كثيرا من أساليبها ومعتقداتها في مختلف وجوه الحياة ولا تنقرض بذلك بل تتجدد • ربما أصبحت بعض أساليب السلف مضحكة لبعض الخلف ولا يجوز حبس التقدم في القماقم • واذا كنتم تطربون لها وتتفاءلون بها فلا أقل من التنويع أي أن تقبلوا أن يكون الى جانبها سواها فتتكون لديكم فرقة كاملة بدلا من أن تقتصروا على ربابة واحدة •

فقلت « بدأ هذا التنويع عندنا منذ مدة ولكنني ممن لم تهش له نفوسهم •

فأجاب « أنت مخطىء ومن معك ، من الافضل لكم أن تتجاوبوا مع تطور النفوس بتطور الثقافات والتجارب •

قلت له ممتعضا « نفعل ان شاء الله ولكن لنعد الى التناغم الذي كدنا نضعيه •

فقال « لا تخش بأسا فانا ما زلنا في صلب التناغم وقد ذكرت ما ذكرت من أجله ، انك لتعلم أن التناغم ضرب من الانسجام وقد كان الانسجام قديما يتم بشكل صارخ لان الارهاف لم يكتمل بعد • كانت نوافذ البيت موزعة باعداد متساوية على جانبي الباب وكانت الانغام تنقسم حسب برهات زمنية متساوية وكان هذا التوازن الراكد مطلوبا في الخطوط والالوان والالفاظ كما هو مطلوب في الاحجار والالحان • وأما اليوم فقد أرهفت النفس الانسانية وغدت تنظر الى هذا النوع من التناغم على أنه مباشر صارخ طفولي وتطلعت الى تناغم أعمق يقوم على الروابط الدقيقة التي توشك أن تكون خفية وعلى تبادل التأثير بين الكل وأجزائه وبين الاجزاء فيما بينها ورب

لوحة بدت لك مبعثرة لو أنعمت النظر اليها لوجدت التناغم متحققا في خط دقيق أو نثرة من اللون ربما ظننتها قد أصابت السطح خطأ وتأمل في المقطوعة الموسيقية الحديثة كيف تصول وتجول وتبتعد وتقترب حتى تظنها خالية من النظام وهي مليئة بهذا التناغم الداخلي الفني الذي تجاوز الانسجام الالي ٠

قلت له « فالفن يجدد نفسه في كل جوانبه ٠

فقال صدقت لان الفن ابداع ٠

الفن ابداع :

قلت « أعتقد أن الفن لا يختلف في حاجته الى الابداع عن بقية أنواع النشاط البشري الاخر كالعلم والصناعة ٠

فأجاب « ان الابداع بالنسبة الى سائر الجوانب قضية تقدم وأما بالنسبة الى الفن فهو قضية وجود ٠

فسألته « وكيف ؟

فقال « لان الفن يتجاوب مع الانسان مع كل الانسان ، ولئن كان في الانسان جانب يميل الى الثبات فانه أيضا يميل الى التغير ، ولا يشبع نهم الانسان الدائم الى التغيير الا الابداع ٠ ربما أحب المتذوق أن يتفاعل مع آثار فنية تسير على أسلوب ابتدع بالامس وكأنه لم يكتف بنماذجه الاولى فمالت نفسه الى الاستزادة من النوع ذاته ، ولكنه لن يلبث أن يسأم واذا لم يسأم فقد تحجر على عادات جامدة قتلت انسانيته الحية وقتلته متذوقا ٠ ولقد لاحظنا عند حوارنا عن الاذكاء كيف أن المتذوق فنان صغير فهو أيضا يشارك في الخلق الفني واذا ما استمر الفن على وتيرة واحدة انعدمت القدرة على الاذكاء الثر ٠ وما يدريك فلعل قبول المتذوق ببعض الاثار الفنية الجارية على أسلوب معتاد انما يتم لشعوره بأن عملية الابداع فيها لم تنته بعد وأنها لم تفقد قابليتها للتطور من خلال أسلوبها فتوقع المزيد من الابداع هو الذي يفضي الى قبولها وحين يقتنع بجفاف ينبوع الابداع فيها يعزف عنها ٠٠ أذكر أنني شغفت بقراءة روايات الروائية البريطانية التي توفيت منذ أيام (اجاثا كريستي) وأكثر ما جذبني الى رواياتها هو هذا الطريق الذي كان جديدا علي وهو أن تترك تعيين المجرم الى اخر لحظة وعندما يظهر اسمه يذهل القارىء لانه عبر الرواية كلها كان أبعد الاشخاص عن الشبهة فيستعيد القارىء الرواية في ذهنه على ضوء الكشف الجديد ويعيد تفسير الحوادث والمواقف ولكن عندما تتابعت رواياتها على هذا النسق أخذ الملل يتسرب الى نفسي حتى انصرفت في النهاية عن روايات هذه الروائية الشهيرة ٠

قلت له « أراك قد انسجمت في دور المتذوق وحاجته الى الابداع الفني فهل هذه الحاجة تأتي الى الفنان من الخارج ؟

فأجاب « ان حاجة الفنان الى الابداع هي الاولى لان نفسه المرهفة يتطرق اليها السأم من المتكرر قبل سواها ولان ما في الفن من غنى في العناصر والخصائص يجعله مستعصيا على الاحاطة المنتجة ما لم تذبه هزة الابداع فهل تظن أن الفنان يصف الموقف الى الموقف ويضيف عنصرا قادرا على الايحاء الى عنصر يتناغم معه ثم يبحث عن عنصر آخر يحقق تناغما أو اذكاء جديدين انه ان فعل ذلك فلن ينتهي من صنع أثره الفني خلال سنوات ، وهو لن ينتهي أبدا الى صنع أثر فني واذا انتج فانتاجه ليس فنا بل هو مخلوق هجين بارد مفكك الاوصال مصطنع ، كما يفعل الذين يكلفهم سواهم أو يكلفون أنفسهم تقديم أثر فني ينسجم مع مناسبة من المناسبات بدون تفاعل داخلي مبدع فتراهم يضيفون العناصر الى بعضها البعض على أساس وظيفة كل عنصر في التعبير عن جانب من جوانب المناسبة فهذا عنصر يفرح به الزوج وذاك تفرح به الزوجة وثالث يفرح به الابن ٠٠ وهكذا يصلون الى لا شيء من الناحية الفنية ، ولكنهم قد يصلون الى أشياء أخرى من الناحية المادية والاجتماعية ٠٠٠ أتريد الحق ؟

اذن فماذا أريد ؟

فقال « اذن فاعلم أنه من الخير للفنان أن يعيش من عمل آخر غير فنه ، خير له أن يكون معلما أو مهندسا أو عاملا أو حرفيا ، وأن يكون فنه هواية يمارسها في ما يسمى عادة أوقات الفراغ وهي في الحقيقة الاوقات الجوهرية بالنسبة الى ذوي المواهب لانه ان عاش على فنه فلن يستطيع أن ينتج كما يشاء له الابداع ومتى شاء انه سيلوي عنق ابداعه وبذلك يخنقه ٠ أما ترى أن بعض الفنانين العظام أصلا قد أصبحوا أسرى من يتعاملون معهم فأصبح فنهم تكرارا لاساليبهم المعتادة وأصبح اصطناعا ٠ ولا تحسب انني عدو لتشجيع الفن أو أعارض في استفادة الفنان من فنه اذا سلمت له حرية الابداع

فصحت به « على رسلك فقد عزفت هذه المعزوفة منذ حين ويبدو أنك تكن عقدة بسبب بعض الظروف والمواقف فهي تغلب نظام حديثك وتحشر نفسها بمناسبة وغير مناسبة ٠ عد بنا الى عملية الابداع فأنا أرجو أن أستزيد من البحث حولها ٠

فهز رأسه وهو يقول « قد لا تكون مخطئا كل الخطأ ولكن تذكر أن المعاني في سبيل الحق لا يعد معقدا ٠٠ ولنعد الى عملية الابداع التي تقذف الكل الى الوجود عند الولادة وهذا لا يمنع الفنان من التنقيح الجزئي كما لا

ومعاناة ولهذا تختلف المبدعات تختلف في اتجاهاتهـــا يمنعه من التمهيد بكل ما يستطيع من اطلاع وتدرب وتامل ومستوياتها بحسب مستويات المبدعين وتجاربهم ، وكل انسان ينسجم مع مستواه ابتداء بالفنان نفسه وانتهاء بالمتذوق فكما ان المتذوق فنان صغير فان الفنان متذوق كبير لفنه ولفن سواه ٠

قلت له « وأخيرا ٠

قال « أولا وأخيرا ان الفن هو الانسان ٠

الفائض الانساني :

قلت « قد سمعت أن الفن نتيجة الجنس وانه ابن الخيال وانه ثمرة العمل والوضع الطبقي كما سمعت عن الانسان نفسه هذه التفسيرات وأمثالها فماذا جئت تفعل أنت ؟

أجاب « لم أفعل سوى ان قرنت بين الضائعين الفن والانسان ٠

فسألت مستنكرا « وأين ذهب العلم والفلسفة والعمل وغيرها من وجوه النشاط الانساني ؟

أجاب « هناك دائما فائض انساني ٠ ان الانسان كائن هائل والطاقات تتبلور منه بعض الجوانب ولكن القطاع الاعظم يبقى للجانب غير المتبلور الذي يشبـــه المائع الناري في جوف الارض ٠ لقد تبلور العلم وأصبح يعني بالبحث الموضوعي المختص المتطابق مع الواقع بقدر الامكان ومجاله مملكة الخطأ والصواب ، وتبلورت الاخلاق الساعية الى الفضيلة كما تراها ومجالها مملكة الخـــير والشر وتبلورت الحرف والصناعات الساعية الى ارضاء الحاجات المادية بحسب التقنيات التي أصبح العلم موجها لها والمجال هنا مملكة الربح والخسارة أو النجاح والفشل وتبلورت في الانسان جوانب أخرى لا تستطيع جميعا أن تستنفد مساحة الانسان الواسعة وأعماقه البعيدة في شعوره ولا شعوره وانفعالاته وآلامه وآماله وأوهامـــه وتخيلاته وبشائره ونذره وعقده وهذه وأمثالها أمور تحتاج الى الفن الذي يتكون بها وقد يحتوي معها بعض ما تبلور فيحييه حياتها ويرهفه ارهافها ٠

وهنا أسرعت الى القول « وجدتها ، ان هذه الامور جميعا يستطيع الاحاطة بها علم النفس ٠

فأجاب « وربما يوجد من يقول بأن علم الاجتمـاع وعلم الانتروبولوجيا يكفي للاحاطة بها ٠ تذكر أن هذه جميعا علوم وان العلم ينتقل من الوقائع الى المجردات الثوابت من مفاهيم وقوانين ولو تمكن لاستغنى بالكم عن الكيف كسبا للدقة وتيسيرا للعمل فقد أصبح العلم مساعدا أمينا للغايات العملية وهو يبحث دائما عن الصواب وهمه تحاشي الخطأ ، وأما الفن فينبض بالانسان حيا طريـا بمشخصاته وكيفياته وتتقلص لديه قضية الصواب والخطأ الى حجم الجانب المشارك لا السيد المتفرد وتتخذ شكلا آخر، وقد رأينا أن العلم يفضل المباشرة ما استطاع اليها سبيلا وأما الفن فيفضل الطريق غير المباشر لانه لا يخاطب جانبا واحدا من جوانب الانسان بل يخاطب الانسان ككل ٠

فقلت « اذن فهي الفلسفة ، انها محيطة شاملـة وتهمها الكيفية كما تهمها الكمية وتتناول الانسان وعالمه وتصوغ العلاقة بينهما

فأجاب « لا أنكر مزاياها الانسانية ولكنها أيضـا تريد التوصل الى الثوابت والاختزالات وبالتالي تصـل الى التجريدات العقلية التي تجعل منها بحثا راقيا ولكن جافا بشكل عام يغلب عليها طابع العقل وحده ويبقى مجالها مملكة الخطأ والصواب أو المعقول واللامعقول وقد تدخل مجال التوجيه العملي ولكنها لا تشعر على أية حال بأنها مكلفة باحياء كل ما في الانسان والانغماس فيه ٠ وهذا لا ينفي العلاقة الوثيقة بينها وبين الفن وابوتها له حينا والاستيحاء منه أحيانا وتأمله في جميع الاحيان ٠

قلت « وما قولك في الدين ؟

أجاب « الحياة الدينية والفنية بينهما تشابه عميق فكلاهما نابض بالحياة ومخاطب جملة الانسان ٠ ولهـذا رأيت الصلة التاريخية الشديدة بينهما ، الا أن المتدين في مستوى الاعتقاد يؤمن بدينه ككل ، يؤمن بوجود الكائنات والاحداث التي وردت فيه ولا يرضى لها أن تكون مجرد رموز ، ولهذا تجد الديانات الوثنية القديمة عندما قل الاعتقاد بها دخلت الحياة الفنية بل أصبحت فنا فكائناتها رموز تدل على دخيلة الانسان وحوادثها أساطير ذات دلالات وفي مقدور الفنان أن يتناول هذه الرموز وهذه الاساطير بالتغيير والتبديل واعطاء المضامين الجديدة ، وهكـذا ضمها الفنان الى مملكته عندما أصبح حرا تجاهها ٠ وأعتقد الان أنك لم تعد تملك ما تحمله محل الفن فالفن ذو موقع خاص لا يسد فراغه أحـد وانه باق ما بقي الفائض الانساني وهذا الفائض دائم دوام الانسان لان الانسان طاقة لا نهائية ٠

وهكذا انتهى الحديث الذي جرى بيني وبينه بعد مائة عام من الان ٠

حماة في ١٥/١/١٩٧٦

سهيل عثمان

صفحات مشرقة

درس من النبوة

بقلم

مصطفى صادق الرافعي

قالوا : انه لما نصر الله تعالى رسوله ورد عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ، ظن أزواجه صلى الله عليه وسلم أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم ، وكن تسع نسوة : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة ، وصفية ، وميمونة ، وزينب ، وجويرية ، فقعدن حوله وقلن : يا رسول الله ، بنات كسرى وقيصر في الحلْي والحلل والاماء والخول ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق . وآلمن قلبه بمطالبتهم له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجهم ، فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن من تخييرهن في فراقه ، وذلك قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » .

قالوا : وبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة (وهي أحبهن اليه) فقال لها : اني ذاكر لك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك .

قالت : ما هو ؟ فتلا عليها الآية . قالت : أفيك أستأمر أبويّ ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله .

ثم تتابعن كلهن على ذلك ، فسماهن الله « أمهات المؤمنين » تعظيما لحقهن وتأكيدا لحرمتهن وتفضيلا لهن على سائر النساء .

. . .

هذه هي القصة كما تقرأ في التاريخ وكما ظهرت في الزمان والمكان ، فلنقرأها نحن كما في معاني الحكمة، وكما ظهرت في الانسانية العالية ، فسنجد لها غورا بعيدا ونعرف فيها دلالة سامية ، ونتبين تحقيقا فلسفيا دقيقا للاوهام والحقائق ، وهي قبل كل هذا ومع كل هذا تنطوي على حكمة رائعة لم ينتبه اليها أحد ، ومن أجلها ذكرت في القرآن الكريم ، لتكون نصا تاريخيا قاطعا يدافع به التاريخ عن هذا النبي العظيم في أمر من أمر العقل والغريزة ، فان جهلة المبشرين في زمننا هذا ، وكثيرا من أهل الزيغ والالحاد ، وطائفة من قصار النظر في التحقيق ، يزعمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم انما استكثر من النساء لاهواء نفسية محضة وشهوات كالشهوات ويتطرقون من هذا الزعم الى الشبهة ، ومن الشبهة الى سوء الظن ، ومن سوء الظن الى قبح الرأي ، وكلهم غبي جاهل، فلو كان الامر على ذلك أو على قريب منه أو نحو من قريبه، لما كانت هذه القصة التي أساسها نفي الزينة وتجريد نسائه جميعا منها ، وتصحيح النية بينه وبينهن على حياة لا تحيا فيها معاني المرأة ، وتحت جو لا يكون أبدا جو الزهر .. وأمره من قبل ربه أن يخيرهن جميعا بين سراحهن فيكن معه الا في طبيعة أخرى تبدأ من حيث تنتهي الدنيا وزينتها .

فالقصة نفسيا رد على زعم الشهوات ، اذ ليست هذه لغة الشهوة ولاسياسة معانيها ولا اسلوب غضبها أورضاها. وما ها هنا تمليق ولا اطراء ولا نعومة ولا حرص على لذة ولا تعبير بلغة الحاسة ، والقصة بعد مكشوفة صريحة ليس فيها معنى ولا شبه معنى من حرارة القلب ، ولا أثر ولا بقية أثر من ميل النفس ، ولا حرف أو صوت حرف من لغة الدم . وهي على منطق آخر غير المنطق الذي تستمال به المرأة ، فلم تقتصر على نفي الدنيا وزينة الدنيا عنهن ، بل نفت الامل في ذلك أيضا الى آخر الدهر ، وأماتت معناه في نفوسهن بقصر الارادة منهن على الثلاثة : الله في أمره ونهيه ، والرسول في شدائده ومكابدته ، والدار الاخرة في تكاليفها ومكارهها . فليس هنا ظرف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المرأة ، ولا اعتبار لمزاجها ولا زلفى لانوثتها ، ثم هو تخيير صريح بين ضدين لا تتلون بينهما حالة تكون منهما معا ، ثم هو عام لجميع زوجاته لا يستثني منهن واحدة ولا أكثر .

والحريص على المرأة والاستمتاع بها لا يأتي بشيء من هذا ، بل يخاطب في المرأة خيالها أول ما يخاطب ، ويشبعه مبالغة وتأكيدا ، ويوسعه رجاء وأملا ، ويقرب له الزمن البعيد حتى لو كان في أول الليل ، وكان الخلاف على الوقت لحقق له أن الظهر بعد ساعة ٠

وبرهان آخر وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج نساءه لمتاع مما يمتع الخيال به ، فلو كان وضع الامر على ذلك لما استقام ذلك الا بالزينة وبالفن الناعم في الثوب والحلية والشكل كما نرى في الطبيعة الفنية ، فان الممثلة لا تمثل الرواية الا في المسرح المهيأ بمناظره وجوه ٠٠ وقد كان نساؤه صلى الله عليه وسلم أعرف به ، وهاهو ذا ينفي الزينة عنهن ويخيرهن الطلاق اذا أصررن عليها ٠ فهل ترى في هذا صورة فكر من أفكار الشهوة ؟ وهل ترى الا الكمال المحض ؟ وهل كانت متابعة الزوجات التسع الا تسعة برهانات على هذا الكمال ؟

وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يلقي بهذه القصة درسا مستفيضا في فلسفة الخيال وسوء أثره على المرأة في أنوثتها ، وعلى الرجل في رجولته ، وان ذلك تعقيد في الشهوات يقابله تعقيد في الطبع ، وكذب في الحقيقة ينشأ عنه كذب الخلق ، وأنه صرف للمرأة الى حياة الاحلام والاماني والطيش والبطر والفراغ ، وتعويدها عادات تفسد عاطفتها وتضيف اليها التصنع فتضعف قوتها النفسية القائمة على ابداع الجمال من حقيقتها لا من مظهرها ، وتحقيق الفائدة من عملها لا من شكلها ٠

وكل محاسن المرأة هي خيال متخيل ولا حقيقة لشيء منها في الطبيعة ، وانما حقيقتها في العين الناظرة اليها فلا تكون امرأة فاتنة الا للمفتون بها ليس غير ٠ ولو ردت الطبيعة على من يشبب بامرأة جميلة فيقول لها : هذه محاسنك وهذه فتنتك وهذا سحرك وهذا وهذا ، لقالت له الطبيعة :: بل هذه كلها شهواتك أنت ٠

وبهذا يختلف الجمال عند فقد النظر فلا يفتنه جمال الصورة ولا سحر الشكل ولا فراهة المنظر ، وانما يفتنه صوت المرأة ومجستها ورائحتها ، فلا حقيقة في المرأة الا المرأة نفسها ، ولو أخذت كل امرأة على حقيقتها هذه لما فسد رجل ، ولا شقيت امرأة ، ولانتظمت حياة كل زوجين بأسبابها التي فيها ٠ وذلك هو المثل المضروب في القصة ٠

يريد النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم أمته أن حيف الغريزة على العقل افساد لهذا العقل ، وأنه متى أخذت المرأة لحظ الغريزة واختيارها كانت حياتها استجابة لجنون الرجل ، وملاتها معاني التزيد والتصنع ، فيوشك أن ينقلها هذا عن طبيعتها السامية التي أكثرها في الحرمان والايثار والصبر والاحتمال ، ويردها الى أضداد هذه الصفات ، فيقوم أمرها بعد على الاثرة والمصلحة والتفادي والضجر والتبرم والالحاح والازعاج ، ويضعف معنى السلب الراسخ في نفسها من أصل الفطرة فيتبدل حياؤها وفي الحياء ردها عن أشياء ، ويقل اخلاصها وفي الاخلاص رد لها عن أشياء أخرى ، ويكثر طمعها وفي قناعتها محاجزة بينها وبين الشر ٠

وبهذا ونحوه يفسد ما بين الرجل والمرأة المتصنعة ، فاذا كثر المتصنعات لا يكون من النساء مشاكل فقط ، بل تكون من حلول المشاكل معهن مشاكل أخرى ٠٠

• • •

ولباب هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم يجعل نفسه في الزواج المثل الشعبي الاكمل كما هو دأبه في كل صفاته الشريفة ، فهو يريد أن تكون زوجاته جميعا كنساء فقراء المسلمين ، ليكون منهن المثل الاعلى للمرأة المؤمنة العاملة الشريفة التي تبرع البراعة كلها في الصبر والمجاهدة والاخلاص والعفة والصراحة والقناعة ، فلا تكون المرأة زينة تطلب لتتم بها في الخيال ، ولكن انسانية تطلب كمالها الانساني لتتم به في الواقع٠

وهذه الزينة التي تتصنع بها المرأة تكاد تكون صورة المكر والخداع ، وكلما أسرفت في هذه أسرفت في تلك ، بل الزينة لوجه المرأة وجسمها سلاح من أسلحة المعاني كالاظافر والمخالب والانياب ، غير أن هذه لوحشية الطبيعة الحية المفترسة ، وتلك لوحشية الغريزة الحية التي تريد أن تفترس ، ولا تنكر المرأة نفسها أن الزينة على جسمها ثرثرة طويلة تقول وتقول وتقول ٠

• • •

وانما يكون أساس الكمال الانساني في الانسان العامل المجاهد ، لا يحصر نفسه في شيء يسمى متاعا أو زينة ، ولا يقدر نفسه بما يجمع لها أو بما يجمع حولها ، ولا يعتد ما يكون من ذلك الا كالتعبير من عمل الشهوات ٠ ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الغاية في هذا ٠ دخل عليه مرة عمر بن الخطاب فاذا هو على حصير وعليه ازاره وليس عليه غيره ، واذا الحصير قد أثر في جنبه ٠ قال عمر :

واذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، واذا أهاب معلق(١) فابتدرت عيناياي ، فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قال عمر : يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا قد أثر في جنبك ، وهذه خزائنك لا أرى فيها الا ما أرى ، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار ، وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزائنك ؟

وجاء مرة من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضي الله عنها ، فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة(٢)،فرجع،فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي فأخبرته برجوع أبيها ، فساله في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : من أجل الستر والسوارين .

فلما أخبرها أبو رافع هتكت الستر ، ونزعت السوارين ، فأرسلت بهما بلالا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت : قد تصدقت به فضعه حيث ترى . فقال لبلال : اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة(٣) فباع القلبين بدرهمين ونصف (نحو ثلاثة عشر قرشا) وتصدق به عليهم .

يا بنت النبي العظيم ! وأنت أيضا لا يرضى لك أبوك حلية بدهمين ونصف وان في المسلمين فقراء .

أي رجل شعبي على الارض كمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيه للامة كلها غريزة الاب ، وفيه على كل أحواله اليقين الذي لا يتحول ، وفيه الطبيعة التامة التي يكون بها الحقيقي هو الحقيقي .

يا بنت النبي العظيم ! ان زينة بدرهمين ونصف لا تكون زينة في رأي الحق اذا أمكن أن تكون صدقة بدهمين ونصف . ان فيها حينئذ معنى غير معناها ، فيها حق النفس غالبا على حق الجماعة ، وفيها الايمان بالمنفعة حاكما على الايمان بالخير ، وفيها ما ليس بضروري قد جار على ما هو الضروري ، وفيها خطأ من الكمال ان صح في حساب الحلال والحرام لم يصح في حساب الثواب والرحمة .

تعالوا أيها الاشتراكيون فاعرفوا نبيكم الاعظم . ان مذهبكم ما لم تحيه فضائلالاسلام وشرائعه ، ان مذهبكم لكالشجرة الذابلة تعلقون عليها الاثمار تشدونها بالخيط. كل يوم تحلون وكل يوم تربطون ولا ثمرة في الطبيعة .

. . .

ليست قصة التخيير هذه مسألة من مسائل الغنى والفقر في معاني المادة ، ولكنها مسألة من مسائل الكمال والنقص في معاني الروح ، فهي صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم أستاذ الانسانية كلها ، واجبه أن يكون فضيلة حية في كل حياة ، وأن يكون عزاء في كل فقر ، وان يكون تهذيبا في كل غنى ، ومن ثم فهو في شخصه وسيرته القانون الادبي للجميع .

وكأنه صلى الله عليه وسلم يريد ليعلم الامة بهذه القصة أن الجماعات لا تصلح بالقوانين والشرائع والامر والنهي ، ولكن بعمل عظمائها في الامر والنهي ، وأن الحاكم على الناس لا ينبغي أن يحكم الا اذا كان في نفسه وطبيعته يحس فتنة الدنيا احساس المتسلط لا الخاضع ، ليكون أول استقلاله استقلال داخله .

فليس ذلك فقرا ولا زهدا كما ترى في ظاهر القصة ، ولكنها جرأة النفس العظمى في تقرير حقائقها العملية .

. . .

وتنتهي القصة في عبارة القرآن الكريم بتسمية زوجاته صلى الله عليه وسلم « أمهات المؤمنين » بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة . وعلماء التفسير يقولون ان الله تعالى كافأهن بهذه التسمية ، وليس ذلك بشيء ولا فيه كبير معنى ، وانما تشعر هذه التسمية بمعنى دقيق هو آية من آيات الاعجاز ، فان الزوجة الكاملة لا تكمل في الحياة ولا تكمل بها الا اذا كان وصفها مع رجلها كوصف الام ترى ابنها بالقلب ومعانيه لا بالغريزة وحظوظها . فكل حياة حينئذ ممكنة السعادة لهذه الزوجة، وكل شقاء محتمل بصبر ، وكل جهاد فيه لذته الطبيعية ، اذ يقوم البيت على الحب الذي هو الحب الخالص لا المنفعة، وتكون زينة الحياة وجود الحي نفسه لا وجود المادة ، وتبنى النفس على الوفاء الام ، وذلك خلق لا يعسر عليه في سبيل حقيقته أن يتغلب على الدنيا وزينتها .

وآخر ما نستخرج من القصة في درس النبوة هذه الحكمة بحسب المؤمن اذا دخل داره أن يجد حقيقة نفسه الطيبة وان لم يجد حقيقة كسرى ولا قيصر .

(١) كيس من جلد كالذي يتخذه العرب وعاء .
(٢) القلب بالضم سوار من الفضة غير ملوي هو الذي يقال له اليوم « الغويشة » وهو خفيف .
(٣) الصفة : الغرفة ، وأهل الصفة هم فقراء المهاجرين ، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون الى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه .

مع أدب الكفاح في المغرب العربي

حسان الكاتب

تعيش الامة العربية اليوم فترة عصيبة من حياتها في كفاحها المرير ضد الاشكال الاستعمارية الجديدة المتمثلة في الصهيونية العالمية ولا بد لنا ونحن في هذه الظروف من القاء الاضواء على فترات **عصيبة أخرى عاشتها أمتنا** العربية ضد أشكال متنوعة من الاستعمار خرجت منها منتصرة بعد أن حققت ما تصبو اليه في الحرية والاستقلال.

فقد عاش الفكر العربي الاسلامي المغربي معركة مقاومة طويلة امتدت من عام ١٨٣٠ وحتى عام ١٩٦٢ تحررت خلالها ليبيا وتونس والمغرب ثم الجزائر وبدأت صفحة جديدة من الاستقلال. ونحن في هذه الدراسة نحاول أن نرسم صورة لادب الكفاح المغربي خلال هذه الفترة الدقيقة من حياة المغرب العربي ، وهي فترة الاحتلال والنفوذ الاجنبي وتصور الى أي حد كان نفوذ التغريب ، والى أي مدى بلغت المقاومة قمة التحدي حيث كان السلاح الوحيد البتار في هذه المعركة هو سلاح الكلمة».

والحق أن المغرب أثبت مقدرة خارقة في هذه المعركة وصمد صمودا جبارا ، وواجه الامور بيقظة وحنكة وسلامة أعصاب لا حد لها ، واستطاع بذلك أن يكسب أغلب الارض التي كانت في يد النفوذ الاجنبي ، وأن يفرض على الاحتلال الفرنسي والايطالي والاسباني شخصيته التي لا تزول ولا تمحى.

وقد تطور الاسلوب الانشائي التقليدي في المغرب في أوائل هذا القرن الى الترسل ، وتخفف كثيرا من السجع، متأثرا باسلوب ابن خلدون في المقدمة ، وبدأ التأليف حول التراجم والاحياء التاريخي وأعانت على ذلك الصحافة التي ظهرت مبكرة في تونس ، حيث صدرت « الرائد التونسي » ١٨٦٠ وكان للصحافة أثرها في تطوير الاسلوب غير أن مضمون الكتابة لم يلبث أن تطور في ظل النهضة التي قام بها خير الدين التونسي ، فلما وقع الاحتلال عام ١٨٨٢ تحولت الكتابة الى ميدان المقاومة والكفاح السياسي.

وقد رسم « محمد بن الخوجة » في تونس صورة للادب المغربي في هذه المرحلة حوالي عام ١٩٠٥ حيث يرى : « أن الانشاء العصري صار أميل للترسل منه الى السجع ، وهذا الاسلوب المنتشر الان بكثرة بين أغلب كتاب العربية وهو الاسلوب الذي انتهجه « ولي الدين ابن خلدون » في المقدمة وغيرها من مصنفاته الجليلة ، والفضل في احياء هذه الطريقة بين حملة الاقلام في الاعصر الاخيرة، يرجع باكمله لشيخ الجماعة أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة الجوائب التي أسسها خلال /١٢٧٧/هـ ، فقد كانت هذه الجريدة منارا لهداية الكاتبين بين العالمين.

كتب التونسيون كثيرا في فنون الادب ، ولا سيما ما كان متعلقا بالانشاء والشعر ، فان تآليفهم وان كانت واسعة المدى فقد ذهبت بشدة الترك سدى ، بحيث أنه لم يظهر مما دونوه في ذلك الى عالم الطبع سوى النزر اليسير :

النهضة الادبية التي ظهرت في تونس أثارت انتباه أبناء الجيل الحاضر ، وبعثت فيهم روحا جديدة دفعتهم نحو الادب وفنونه جريا على نواميس الخليقة ، وكانت النتيجة ظهور طبقة من الكتاب والشعراء بلغت درجة النبوغ أو كادت ، هذه النهضة ابتدأت حركتها في أوائل القرن الرابع عشر.

كان الاديب المغربي لايعرف الا موضوعات (المديح والهجاء والرثاء والغزل والالغاز) التي ورثها عن العصور المتأخرة ، فلا يكاد يتجاوز هذا غالبا الا اذا كان ذلك غرضا غير مقصود.

منذ عهد قريب وصل الى المغرب الاقصى صدى تلك النهضة الفكرية التي انبعثت في الشرق العربي وأحدثت انقلابا في الافكار والاساليب ، فعاد أدباؤنا الذين لم تتأصل فيهم جذور تلك الوراثة المذكورة أيضا ، ولم تتعود أفكارهم على الجمود على تلك التقاليد ، والاقتصار على تلك الاساليب ، الى أن يشحذوا قرائحهم من جديد ، ويوجهونها الى ما فيه نفع الامة.

نشأت بعد ذلك طائفة من النشيء الحي فالتهبت جوانح ذلك النشيء واتقدت أفكارهم واهتزت عواطفهم وربت ، فاذا في المغرب الاقصى شعر جديد طلي ، فيه من جمال الاسلوب وسهولة الالفاظ وصفاء الديباجة الشيء الكثير.

والادب المغربي في (الثلاثينيات) يمثله رجال هذه الصفات الثلاث :

- أدباء كبار يكتبون أدب الماضي.
- طبقة المخضرمين الذين جمعوا بين الحسنين ، وضربوا بالسهمين.

● الطبقة التي تربت وتثقفت في عصر المطابقة لروح العصر .

وصور الاستاذ عبد الله كنون(1) (المغرب) تطور مفهوم الادب فقال : انه مما حصل بتأثير النهضة الادبية التي قامت في الشرق العربي في بداية هذا القرن ، اذ أنه قبل أن يتصل أبناء المغرب بالثقافة الغربية ويطلعوا عن طريق المدرسة الفرنسية على المذاهب الحديثة ، كانت الطليعة الاولى من أدباء المغرب تتصل عن طريق الصحافة الحديثة والمطبوعات الصادرة في البلاد العربية ، وخاصة منها مصر بالانتاج العربي الحديث لاعلام النهضة في العالم العربي ، وتتاثر به وتحاول النسج على منواله .

ويرى الاستاذ كنون أن الادب في العالم العربي كله وحدة لا تتجزأ : « في جميع بلاده بالمغرب والمشرق وفي الاندلس . هو أدب واحد تشارك في انتاجه بلاد متصل بعضها ببعض. ثم هي متشابهة في التكوين والخلق والمزاج، واللغة التي تعبر بها عن أفكارها وخواطرها وحاجاتها واحدة » .

أما في الجزائر فيرسم لنا « أبو القاسم سعد الله » صورة عصر اليقظة : « منذ استيقظت الجزائر على النداءات الوطنية والاصلاحية أوائل القرن الحالي وهي تحاول التخلص من هذه الرواسب ، والقضاء على مخلفات الماضي ، ومحاولة اعادة البناء النفسي للمجتمع ، كان الفضل الاول للمدرسة والصحيفة والمحاضرة والخطبة .

لست أنسب الفضل في خلق هذا العنصر الجديد من وسائل اليقظة الجزائرية الى شخصية بذاتها ، أو حزب باسمه ، أو هيئة كبيرة .

لا بد من الاشارة الى المجهود الكبير الذي بذله رسول اليقظة العربية في الجزائر المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فقد عمل هذا المصلح طاقة في سبيل أن يحتفظ الجزائريون برباطهم المقدس الذي يجمعهم على كلمة واحدة: دينا ولغة وماضيا ومصيرا .

ومن الجمعيات الوطنية الكثيرة التي ظهرت في الجزائر جمعية العلماء بدأها عام ١٩٢٦ وأعلنها في ١٩٣١ ، وكان لظهورها صدى في الجزائر آنذاك ، لانها كانت تحمل شعارا أزعج سلطة الاحتلال من ناحية ، وأثار مخاوف الرجعيين الجامدين من أبناء الجيل الماضي من ناحية أخرى ، هذا الشعار هو العروبة والاسلام أو الدفاع عن القومية العربية والدين الاسلامي في سماحته الاولى ، وقد لاقت مضايقات ومعاناة شديدة ، ولكن سرعان ما توطدت فكرتها وكثر أتباعها .

هذه ملامح صورة اليقظة الادبية كما صورها أدباء من أقطارها تونس والجزائر ومراكش . أما طرابلس الغرب فقد كانت في شغل عظيم بالمقاومة وان ظهرت فيها الصحافة مبكرة عام ١٨٦٦ الا أنها سرعان ما احتجبت وصدرت على اثرها صحيفة ايطاليا الجديدة .

ويمكن القول بأن اليقظة الادبية بدأت في تونس عام ١٨٦٠ بصدور « الرائد التونسي » ثم في عدد من المؤلفات التي ظهرت في أوائل هذا القرن :

● الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (أحمد بن الامين الشنقيطي) عام ١٩١١ .

● الادب التونسي في القرن الرابع عشر (زين العابدين السنوسي) عام ١٩٢٧ .

● شعراء الجزائر في العصر الحاضر (محمد الهادي الزاهري) ١٩٢٦ .

● الادب العربي في المغرب الاقصى (محمد القباج) عام ١٩٢٩ .

● عنوان الاديب عما نشأ في المملكة التونسية من أديب (محمد النيفر) ١٩٣٢ .

● بلاغة العرب في الجزائر (عثمان الكعاك)١٩٢٥.

ولا جرم كان ظهور هذه المؤلفات في هذه المرحلة بالذات من تاريخ المغرب العربي ذا دلالات بعيدة المدى ، فهي محاولة للرد على ادعاءات الاستعمار من أن المغرب ليس له أدب واضح الملامح . فزين العابد ين السنوسي (١٩٢٣) ينحى باللائمة على أدباء المشرق الذين كتبوا عن أدب المشرق وحده وتجاهلوا أدب المغرب . لقد صدر حتى اليوم كثير من التاليف عن آداب الاقطار العربية تاريخيا وعصريا ، أحمد ضيف وطه حسني ... ان جميع هؤلاء لم يكتبوا عن الشمال الافريقي شيئا ، والظاهر أن هذا التغافل أثر من آثار التشتت السياسي الذي أوجدته الطوارىء الاستعمارية في القرن الاخير ، وقد بلغ التشتت والتناكر بأبناء العربية أن أصبحت الصحافة المصرية لا تكاد تهتم بنا اهتمامها بمملكة الحبشة ولا تتطلع لاخبارنا تطلعها لحفلات السباق والزحلقة ، وليست الاغلاط قاصرة على الصحافة والنشرات الدورية ، بل تتناول حتى الكتب المدرسية والموسوعات العلمية ، « مدينة

(1) من كتاب « الادب العربي في المغرب الاقصى »١٩٢٩ .

بنزرت » ذكرت في الموسوعة الجغرافية المصرية (التحية الازهرية) باسم بنزرطة ، وذلك نتيجة اعتمادهم على المؤلفات الاجنبية » ·

ثم يتناول زين العابدين السنوسي في يقظة وصراحة قضية الترابط بين المشرق والمغرب « ان تاريخ تونس ومركزها بالنسبة لبقية الشمال الافريقي يجعلانها شاعرة أبدا بمسؤولية ربط هذه النهضة بهاتيك الاصقاع الغنية المستفيضة ببقعة الارومة العربية حتى لا تنقطع الروابط التي ربطها أبناء يعرب بدمائهم ، ويذهب آخر أمل في البناء على أنقاض ماضينا الزاهر ·

ويركز عثمان الكعاك (تونس) على أدب الجزائر في كتابه « بلاغة العرب في الجزائر » ، مستهدفا بذلك مقاومة فكرة مضللة : « مقصدي أن أبين للعالم الناهض الغربي ، مقام الادب الجزائري في مستوى عموم الاداب العربية · الذي حط من همة الامة الجزائرية تصورها أنها لا تملك لنفسها تاريخا ماجدا تفاخر به بين الامم والشعوب ، وليس لها أدب يصور روحها في مختلف العصور ، ويصف تاريخها الفكري وتطور عقليتها ، هذا الاعتقاد الواهم يجعل الامة تعيش من غير أمل وبدون شعور بكرامة ولا عزة ولا احساس بذاتية مستقلة أي أمل لامة غير أشعارها بكرامتها وناموسها وعظمة تاريخها ، وكيف لا تنشط العقلية الجزائرية الخامدة ، اذا علمت أن وراءها تاريخا يضاهي تاريخ أعاظم الامم ، وأن لها أدبا من أجمل ما جادت به قريحة بني يعرب بن قحطان ·· » ·

وقد أشار عثمان الكعاك الى ذلك في (مجلة الندوة ـ ١٩٥٦) فقال : « أنه منذ ربع قرن ، وضعت رسالة في تاريخ الادب الجزائري ، الهدف منها ايقاظ الهمم ، وتحريك السواكن الى العناية بأدب العرب في الجزائر ، وكان قد اعترى هذا الادب الكساد ونسج عليه الاهمال نسيجا من عنكبوت النسيان ، وقضت حوادث الدهر بضياع الكثير من معالمه ، وضياع القدر الجم من اثاره حتى ظن الكثيرون أن الجزائر خلو من الادب عزلاء من سلاح العقل » ·

ولا شك أن الجزائر التي وجه اليها الاستعمار الفرنسي ، ضربات قاسية للقضاء على اللغة العربية فيها كانت في حاجة الى دقات الاجراس ، وفي هذا يقول عثمان الكعاك :

« يظن الكثير من الشرقيين أن الجزائر قد استشهدت عروبتها حتى سماها القوم « بالاندلس الجديدة » وعندنا أنها كامنة لا مقبورة ، ويكفي لعظيم من العظماء أن يذكي جذوتها حتى تتأجج نارها ويسطع نورها ·

ولعل سوء الدعاية الذي أحدثه بعض القوم من زعم وفاة الجزائر قد أثر على الادبيات ·

ولو اشتغل القوم باحياء أدبها وابراز تاريخها لكان ذلك أحسن ، ومن الغلط أيضا أن يعتقد الانسان أن الانحاء باللائمة على أبناء الجزائر من شأنه أن يجرح عواطفهم ·

والحقيقة جارحة كما قيل ، وانا لنؤثر أن نقول الحق وان كان مرا ثقيلا ، الحق هو أن الجزائريين قد قتلوا لغتهم بأيديهم ، وما كان الاحتلال الا جوا مساعدا على ذلك ، لانهم لو أرادوا أن يحيوها ما كان أحد ليبعدهم عن ذلك ·

ولو نبغ كاتب واحد بالجزائر لضمن بذلك حياتها الادبية ، وقد لاحظنا أن علماء العربية بها لهم صبغة المستشرقين أكثر مما لهم صبغة العرب الذين يحترمون لغتهم ، حتى انهم اذا بحثوا في التاريخ أو الادب يعمدون الى الفرنسية يؤلفون بها ، وليس ذلك الا تقصيرا أو قتلا لادب قومهم

وقد عاونت السياسة على ذلك فأقامت للبربرية الصروح ، وألفت لها كتب النحو والتدريس ومعاجم اللغة ، حتى لقد ذهب الشطط ببعضهم الى تاليف كتاب في تاريخ آداب اللغة البربرية فأصبحت الوحدة اللغوية على الاقل صعبة ·

على كل أمة اسلامية أن تتخذ من آدابها قاعدة تشيد عليها آدابها في المستقبل ، لا بد للجزائر أن تقتحم عقبة جمودها ، وأن تعتبر مامر بها ـ مما يقرب من قرن ـ عصرا تضيفه الى عصر انحطاطها ليس غير ، وتبني على أساس آدابها القديمة مسرحا قويا بديعا لادبها الجديد·· »

وفي مجال الدفاع عن « المغرب » عن طريق الادب ظهر كتاب « النبوغ المغربي » لعبد الله كنون سنة ١٩٤٢ ، فقد استهدف المؤلف غرضين أحدهما كشف صفحة ماجدة من صفحات الامة المغربية في مجال العلم والشعر والفقه ، طالما أنكرها الاستعمار ، وادعى أنها لم تكن ، وثانيهما أنه جاء تكميلا للدراسات التي صدرت في المشرق عن الادب الغربي ولم تتناول المغرب بكلمة واحدة ، وفي مقدمتها (الادب العربي لاحمد حسن الزيات) ·

وقد كان للكتاب صدى بعيد في مختلف مجالات الادب ، وقال عنه شكيب أرسلان : من لم يقرأه فليس على طائل في تاريخ المغرب العلمي والادبي والسياسي ، واعتبره (بروكلمان) من ملحقات كتابه عن تاريخ الادب العربي ، وعني به المستشرقون المنصفون .

واذا كانت الجزائر قد واجهت عدوانا فكريا قضى بتأخر نهضتها في مجال الانشاء والكتابة والصحافة شوطا ، فان اليقظة قد هبت فعلا منذ أول القرن في تلك الصورة الفكرية التي صورها أبو القاسم سعد الله ، والتي قام بها شيوخ الجزائر في أوائل القرن يدعون الى المحافظة على التراث القديم « لا باعتباره نماذج خالدة ، بل باعتباره تراثا قوميا ، وعلى رأس هذه الحركة : أبو القاسم الحفناوي وعبد القادر المجاوي والمولود بن موهوب ومحمد ابن أبي شعب ومحمود الحول ، وذلك في الندوات الثعالبية، ونادى صالح باي ، ومدرسة الجزائر .

وفي المرحلة التالية ظهرت مدرسة عبد الحميد بن باديس ، الذي كشف ، لتلاميذه طرائق في الادب وأسلوبه من اللفظة الجزائرية حتى البناء الكامل « وكان للشيخ طريقة خاصة في تناول الحياة تشهد له بالحذق والبراعة اذ كان يدعو تلاميذه الى القديم والجديد معا ، القديم في محاسنه ورزانته ، والجديد في طلاقته وتطوره .

ثم كان للبشير الابراهيمي دوره في تطوير الادب العربي المغربي الجزائري « فقد كانت ثقافته الادبية أوضح من زميله الشيخ ابن باديس » .

وقد اعتمد على الدرس المشافه الموجه ، وكان القلم واللسان أغلب على البشير الابراهيمي « وقد أعطته هذه الميزة مجالا خاصا للنقد والتوجيه ، فاتخذ من الصحافة ولا سيما جريدة البصائر ميدانا لقيادة الجيل الجديد في الادب ، سواء بما كان ينشره من نماذج تثير الاعجاب ، وتدعو الى الاحتذاء ، أو فيما كانت تنشره الجريدة من شروط للادباء والكتاب الذين يرغبون في المساهمة في التحرير .

وقد دعا البشير الابراهيمي الى أن يظل الادب عربيا في أصوله وقواعده لا شرقيا ولا غربيا . « يجب أن يظل أدبنا عربيا يستمد شخصيته وأهدافه من حاجاتنا الواقعية لا المفتعلة ولا المزيفة » وعنده أن وحدة الامة العربية تتمثل في وحدة هذا الادب بصورة عملية ، وقضية القومية العربية « ليست ميدان سلاح أو حرب ، وانما هي ميدان عقل وفكر » .

وجملة القول أن الادب العربي في المغرب كان حفيا بأن يدافع عن الشخصية العربية الاسلامية المغربية ، وأن يؤكد وحدة المغرب ، ويكذب ما قالته فرنسا من فصل الجزائر عن المغرب ، ويدافع عن التراب المغربي وأمجاد الامة المغربية ولغتها العربية ودينها الاسلام .

وكان من نتائج خطة الاستعمار الفرنسي في القضاء على اللغة العربية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الطويل أن ينشأ جيل من الكتاب لا يعرف اللغة العربية ولا يتاح له التعبير عن مشاعره الا باللغة الفرنسية . ولم يمنع ذلك أن يكون هذا الادب وطنيا وقوميا ومعبرا عن مشاعر المغرب العربي وفكره ، وموقفه من الحرية .

اهتم الادب الجزائري « الفرنسي اللغة » بتصوير ظلم الفرنسيين وارهابهم للوطنيين ، وانكار امتداد الجزائر لفرنسا ، وانها جزء منها ، وتصوير الفقر والبؤس والالم الذي عاش فيه الجزائريون في ظل الاستعمار .

ظهر هذا الادب بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وأبرز كتابه : محمد ديب ومولود معمري ، ومولود فرعون، وكاتب ياسين ، ومالك حداد ، وآسيا جبار وقد تأثر أغلب هؤلاء الكتاب باحداث الاستعمار ، ومنهم كاتب ياسين الذي عاصر معركة « سطيف » المفزعة في أيار عام ١٩٤٥ وكان أحد شهودها .

وقد صور أغلب هؤلاء الكتاب مشاعرهم ازاء تعبيرهم عن أنفسهم بغير اللغة العربية . يقول مالك حداد : « أنا أرطن ولا أتكلم ان في لغتي لكنة ، انني معقود اللسان ، أنا لا أغني ، لا أغني ، فلو كنت أستطيع الغناء لقلت شعرا عربيا » .

وقد جرت مناقشات كثيرة حول اضطرار الادباء الجزائريين الى الكتابة باللغة الفرنسية ، ودافع ابراهيم غافر عن الادب العربي فرنسي اللغة فقال : ان المهم أن يؤدي الكاتب شهادته ، وأن يكتب باللغة التي سمحت له الظروف بأن يتعلمها ، وأن يعبر عن الواقع الحي في بلاده ، ويلتقط الصور الناطقة في أصول بيئته ومجتمعه، وأن تبقى ، شهادة الكاتب وثيقة ثمينة يخلفها لمن بعده حتى يستمر الاديب في تأدية واجبه المقدس ، وأنه ليس من العار أن يكتب الكاتب باللغة الفرنسية أو غيرها ما دام يحسنها ويسخرها طيعة أمينة .

ومن أبرز نماذج الادب الجزائري فرنسي اللغة قصة كاتب ياسين « نجمة » وتجري حوادث هذه القصة بجبل الناضور ، وهو جبل حصين في أقصى الجانب الشرقي من عمالة قسطنطينة المتاخمة لتونس سكانه قبيلة عربية عريقة في النسب تسمى (كبلوت) . وكان كبلوت من اللاجئين الاندلسيين العرب الذين اضطرهم الاسبان فأخرجوهم من ديارهم ، وكانت قبيلة (كبلوت) قد نشرت الحضارة الاندلسية الاسلامية حولها ، وجعلت من جبل الناضور معقلا للعلم والادب ، الى أن أتى الفرنسيون فاحتلوها عام ١٨٧٠ بعد مقاومة عنيفة استشهد فيها سبعة من مشايخ جبل الناضور . وأحد هؤلاء هو جد الكاتب الجزائري .

وهنا تبدأ المأساة التي تصور كيف صار الكاتب صعلوكا وكيف أصبح يجيد الفرنسية ، فغدا بعيدا عن العربية وعن أهله العرب يتيه في شوارع باريس .

وقد صور كاتب ياسين قسطينة في موقعها الرهيب الحصين على شواهق وادي الرمل .

وصورت القصة المرأة ومستواها الثقافي ، والعمال الجزائريين وهم يرزحون تحت أثقال شحنات الاستعماريين فوق أرصفة الموانىء ، وتحدث عن حياة الفلاحين البائسين، والجزائريين المهاجرين الى فرنسا لكسب القوت اليومي . والطلبة الجزائريين في فرنسا ، وتأثير فرنسا في تكوينهم العقلي .

وبالجملة فان قصة (نجمة) لكاتب ياسين قصة الشباب الجزائري الذي يعيش في بلاده عيشة المشردين ازاء المستعمر وأذنابه ، فكل أبطال القصة مشردون ومطاردون في بلادهم .

وقد تحدث « مولود معمري » عن تجربته الخاصة حيث كان يدرس التاريخ ويطالع سيرة قيصر والاسكندر وأخبار لويس الرابع عشر ، وكيف لقن الادب الفرنسي وتمتع بشعر راسين وقصائد بودلير ..

غير أن هذا الفكر كله لم يصل الى أعماق نفسه ، فقد كان يحس أنه غريب عن « تلك الاحداث التي كنت أعجب لعظمتها ، وذلك الجمال الشعري ، كل ذلك كان من استنباط وابتكار أشخاص غيري ، ومجتمع انساني غير مجتمعي ، وبيئة بشرية لا يحيا فيها أحد من أبناء قومي » .

ومن هنا بدأ يفكر في انشاء أدب عربي مغربي باللغة الفرنسية ، يقول كنت أتألم لكوني أحيا في بيئة لا صوت يعبر عما يختلج في نفسها من أفكار وعواطف خاصة بها دون سواها .

غير أنه واجه مشكلة التعبير عن مشاعره باللغة الفرنسية ، يقول تلقيت دروسا باللغة الفرنسية ، وأنا أتوق الى اتقانها واكتساب ملكتها ، حتى أتمكن من التصرف فيها بدقة وأناقة ، وكان لا بد من عقبات ومصاعب لعدم وجود انسجام بين هذه اللغة وطريقتي الخاصة في التفكير والتعبير ، وكان لا بد لي اذن أن أقسو على احداهما لاجعلها طيعة للاخرى .

« ومعمري » هنا يعبر عن مشكلة هامة جرى حولها نقاش كبير ، وهي « الانفصال بين اللغة المعبرة والواقع » وأن اللغة الفرنسية لم تكن تعطي الكتاب الجزائريين العامل الذي يمكنهم من تسجيل الاحداث ، والتغلغل الى أعماق مشاعرهم النفسية .

ويعرض لهذا المعنى جمال البغدادي القادري فيقول « يلاحظ كل من قرأ للكتاب الجزائريين ذوي التعبير الفرنسي أن هناك غرابة وسوء جوار بين الاسلوب وبين حوادث القصة أو عاطفة القصيدة لان هذه العواطف وهذه الاخيلة خلقت لكي يعبر عنها باللغة العربية ، وابرازها بمنطق فرنسي يجعل اللفظ متضاربا مع صميم القصة ، خاصة اذا كانت مرتبطة بالمجتمع العربي الجزائري .

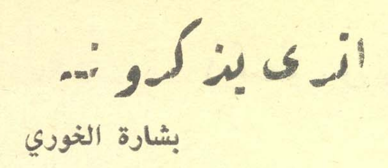
أجل ان الادب الجزائري الصميم لا يؤدى الا بالعربية واذا أدى بغير العربية وقع الاديب في ازدواجية شخصيته وفقدت القصة أو القصيدة حياتها » .

ومن هنا جاء قول المفكر الراحل الدكتور سامي الدروبي مترجم قصة محمد ديب « الدار الكبيرة » الى اللغة العربية وهو : أنني لا أرد الى الاثر شيئا مما كان يمكن أن يكون له من صدى ، لو كتب بالعربية ، وانما هو يفقد مزيته من ذلك الرواء ، فالاثر قد ضاع منه شيئا مرتين : مرة حين يكتب بالفرنسية ، ومرة حين ترجم عن الفرنسية .

وأخيرا لا بد من القول أن الادب العربي الفرنسي اللغة الذي كتبه الادباء الجزائريون ، أدب وطني صادق ، تغلب عليه النزعة الانسانية ، مصورا كفاح الانسان المستعمر ، وان عجز عن الاداء الكامل للمشاعر العربية الانسانية ، وذلك للانفصال بين اللغة المعبرة والواقع ، وانفصال الكتاب عن الثقافة العربية الاصيلة .

دمشق — حسان بدر الدين الكاتب





بشارة الخوري

أترىً يذكرونـه أم نسوه   هم سقوه الهوى وهم أسكروه

عمركَ الله ، هل عرفت فؤادا   كفؤادي ، عليـه جار ذووه

عللوه ، فكان أقتـل شيء   ذلـك الصد ، بعد ما عللوه

ليتهم يذكرون ليلـة كنا   والهوى : نحن أمـه وأبوه

وعيون النجوم تـرنو الينـا   ولسان الدجى يكـاد يفوه

والنسيم الخفيف يلهو بثوبينـا   كطفل أهلوه ما هـذبوه

ورشفنا كأس الحميا ، فباحت   بالذي في الصدور منا الوجوه

قلت : أهواكِ يا ملاكـي : فـردت   مقلتاه ، لكن تلعثم فوه ..

البندلية تغني

اسعد حبيب يوسف

لا تلومي اذا ذكرت الندامى أنا لولاك ما عرفت الغراما
واعذريني اذا سكرت فلولا ثغرك الحلو ما احتسيت المداما
سامحيني اذا شغفت بحسنائي فحب الجمال ليس حراما

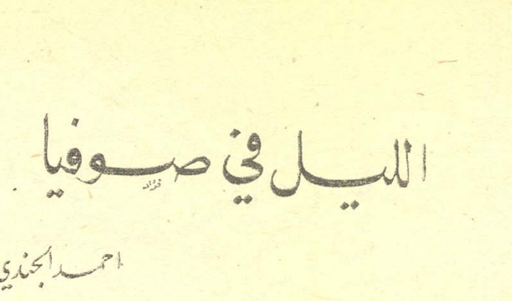
□

يا بنة الارز قد عرفت دمشقا بلدا طيبا وأهلا كراما
سكبت حبها على جرح لبنان ، فكانت بردا له وسلاما
تسلم الشام للعروبة غيلا ورعى الله جيشها المقداما
وليدم قائد المسيرة رمزا ينشر الحب بيننا والوئاما
أسد كلل العروبة بالغار وأهدى لكل صدر وساما

★ ★ ★

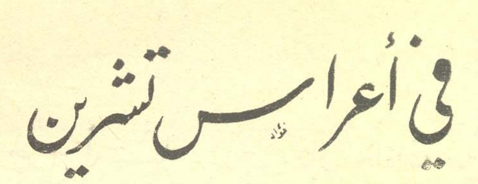
نحن والشام توأمان على الدهر رضعنا الآمال والالاما
جمعتنا أواصر الدم شعبا يتفانى وللعلا يتسامى
جمعتنا أواصر اللغة ألام فصارت حروفها أرحاما
يا بنة الارز ما رأيتك الا خلت أني رأيت فيك الشآما





من رأى الليل أو أحس الجمالا ضاحك الثغر رائعا يتلالا
أو رأى البدر في السماء مطلا لا يمل السهوم والاطلالا
من فضاء قد نورته نجوم راقصات تخذن منه مجالا
ذاك عرس **البهاء، يخلب** لب المرء حتى **يراه شيئا محالا**
صوفيا أنت تحفة لا تجارى أنت أعجوبة تميس دلالا
بلدة تضحك الحياة لديها فالسنون الطوال لسن طوالا
زرتها والخريف ينهل طيبا والنسيم الحيران يسرى اعتلالا
وحفيف الاوراق يترك لحنا في الحنايا موقعا يتوالى
ورق ذابل تساقط كالاطيار تخشى الهموم والاوجالا
وحراج دجا **النهار لديها** فهو كالدهر لا يريد الزوالا
غاب فيه الضياء، واحتجب النور، فشمس النهار تشكو الهزالا
ضحكت حولها الحدائق واهتزت سرورا وفتنة وخيالا
وكأن الزهور فيها عيون رانيات تبدى اليك سؤالا





في أعراس تشرين

نجم الدين الصالح

قالوا : مضى العيد أحلاه وأنضره   فكيف أقفر من رياك منبره
قالوا : نأت عن عكاظ الشام أنجمه   وصوحت في عكاظ الشام أبحره
وكان كل شهي الطلع يكلأه   اذا تفجر من رياك كوثره
قالوا : وأغلوا . فرحنا خلف محنتنا   نلتف بالجرح اكبارا ونؤثره
لا يفقد الليث شيئا من مهابته   ان كانت المقل العشواء تنكره
له عليهم سمات أينما ذهبوا   فكلهم في فجاج الروع يخبره
يبقى الفراغ بهم يشكو مرارته   ويستر الساح جمع : ليس يستره
حتى اذا قال في الاحداث قائلهم   شيئا فألصقه في السمع أنكره
وكيف أفهم روضا شف سندسه   حر الهجير ، وماتت فيه أزهره
...،وكم جمعنا النجوم البيض في أمل   وكان كل غد يفتر اخضره
فما أقول وقد داس الغلاة سنا   كم ودت الشمس لو راحت تضفره
وما أقول ، وقد أدمى الردى وطني   وأمطر النار والاصفاد معصره
وبات معراج طه في شوامخه   تمده قبضة الطاغي وتجذره
ويصلب القدس ايذانا لمنطلق   يشل شرق حضاراتي ويأسره
توحدت كل أهدافي وألويتي   وشط يا قدس عن دنياك قيصره

فكيف (ياأخت) ترفو جرح أمتنا
ان كان خلفك من لا زال يوغره

هل كان يطمع في أبراجنا أحد
لو ظل في وطني معنى نوقره

لو لم يك الخلف والاحقاد في دمنا
جسرا تظل طوال الدهر نعبره

فهل تعلم شعبي من كوارثه
وهل جديد مآسيه يذكره

هل كانت الشام الا ملك أمتها
تعضد الهدف الاسمى وتنصره

ومن كسا مجلس الامن استجابته
يوم استقر على نجواك منبره

وأي : أي غد ترجى بوادره ..
ان لم تلح من سواد الشام أقمره

لئن يكن رسخ الباغي صواه ففي
رياح تشرين ما لم يدر خبيره

وليس في مسح جرح الارز موبقة
بل واجب نطأ الدنيا ونؤثره

شهامة الشرف المثلوم ، نجدته
اباؤه ، صوته الداوي ، ومحوره

لا تلبسوا الشام الا ما يليق بها
فأحقر الصيد (يا رواد) أعكره

ان موه الساسة السكين خلف دمي
فأمعنوا الطرف .. أيا كان قيدره

من أشعل الفتنة الكبرى ، ومن دأبت   أبواقه خلف لبنان تفجره
من عاث في دم بيروت وأحرقها   ومن يصد الردى عنها ويكسره
سلوا الرياض ، وقد جاءت مواكبها   تضم ليث أمانيها وتكبره
وسائلوا القمة الكبرى وما انقطعت   اليه قاهرة الدنيا تضفره
أبو سليمان فلتزحف جحافله   وليخطف البين من لبنان عسكره
فيالق ترضع الجولان مهجتها   ومنسر في جوار الارز يخفره
فيالق النسب الاعلى وحق له   في قمة الشيخ أن ينهل كوثره
أن يفتح العرب الاحرار فتحهم   فيه وان يثقل الجوزاء عثيره
فكم تزينت يا يافا وكم دلفت   اليك من قاسيون العرب أنسره
وكم مشى الاسد الرئبال مشيته   يمزق الليل عن شرقي ويحسره
تشرين صحح مسارا ليس يجمعنا   الا شمائل اكبار تعطره
تند من لهب الجولان عفرته   وتشرئب كأرز الله أسطره
تبارك الثأر كم خط الاله به   جلاله ٠٠، وأمحت بالغدر أقمره
تبارك الثأر كم حان القطاف به   وكم تألق خلف اللد عسكره
فكبر شعبي عند القدس أوله   وعند غزو قلاع الشمس آخره
تمشي العروبة في راياته لهبا   ينضر الله منه ما ينضره
الله أكبر اما حق نصرته   ولست غير اله النصر اكبره
دكوا قلاع جميع العابثين به   فالدرب أقربه للنصر أوعره
وأطلقوها على الدنيا مجلجلة   تهد ركن بلادى ٠٠٠ ، أو تحرره



وتدخنـين ... فدفء سهرتنا شراهات تطيب

ومن الشفاه البكر يا حسنـاء ينسفح اللهيب

ودخان شهوتنا تلاحين بأعماقي تذوب

فتضرمي ... كي ينضج الثمر المحرم والذنوب

الاثم ينسج في دمي والجوع والعطر الغريب

ماذا على شفتيك ؟؟ أنداء ومجمرة وطيب

وتحرق غرثان للشهوات في صدرى رهيب

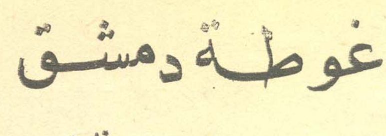
هذى خطيئاتي : اغتراف النار والشعر الرطيب

وتدخنين ... فيرتوى حس اشتهاءاتي العجيب

نهم الانوثة والجمال غوى تعطره الطيوب

حسناء يلتهم الدخان دمي وتغشاني الغيوب

هذى جروح الحب : أنفاس بليلتنا وكوب



عدنان مردم بك

خطرت بمحبوك الربيع تصفق ... والفجر يعصف غربة المتدفق
وتبرجت بمطارف من سندس ... عجب تكاد من النضارة تشرق
ألوانها قوس الغمام تعددت ... ألوانــه وتنورت تتألق
فوضى من الاضواء كاد بريقها ... فوق الثرى من جدة يتدفق
من كل زاهرة كعين مدله ... نظرت اليك بمدمع يترقرق
عصف النسيم معابثا بغصونها ... فتمايلت من دونـه تترفق
نشرت جناح فراشة أغصانهـا ... ما انفك من عبث الوساوس يخفق
ولوت على همس الربيع بجيدها ... سكرى تحدق بالعيون وتطبق
لله ما نسج الربيـع وزوقت ... يمناه من وشي بطيب يعبق
في كل رابية تلاطم للضحى ... يم بمشبوب الغوارب مطبق
حضن الربى بالدفء من أضوائه ... كالام تحضن صبية وتطوق
والزهر في سرر الغصون كمقلة ... يطفو النعاس بجفنهـا ويرنق
والطل مخضل الحميم على الثرى ... أفق بمنسكب الغمائـم يغدق
عصفت غواربه فخف مزغردا ... غرد وصفق بالجنـاح مصفق
وشدت مطوقة لرجع هواجس ... شتى يورثها جوى وتحـرق
عجبي لها من جنة ، أبوابهـا ... للوافدين على المدى لا تغلق
دون الجنان مكاره من دونها ... غصص تغص بهـا النفوس وتزهق
ولواعج يفرى الكبود لهيبهـا ... من جامع نيرانـه لا ترفق

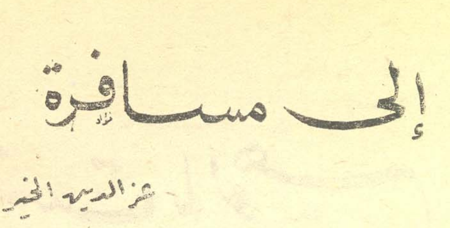
والغوطة الخضراء ما من حاجب … يزع المشوق حيالها أو يرهق
أبوابهـا للوافدين تفتحت … فاذا الجموع ببابهـا تتدفق
من كل مشتاق ترامى شطرها … والصدر من برح اللواعج ضيق
عي اللسان عن البيان ولم يحر … قولا وأعوزه البيـان المشرق
ولرب صمت لم يدع لمفوه … نذرا يقال ولا لسانا ينطق
نشرت يد الصفصاف فضل مآزر … من ظلها وتعطفت تتأنـق
ماست كغانية بخضر مطارف، … أفوافها كشبابهـا لا تخلق
يا حسنها والنور يعصف دونها … كالسيل منهمرا جرى يترقرق
والحور مثل نعامة بجناحهـا … راحت بأجواز السماء تحلق
والدوح مثل غمائم عصفت بها … ريح فراحت بالجناح تصفق
من كل سامية زهت مختالة … بفروعها وسمت تطول وتسمق
شجر توقد كلما تلع الضحى … أوراقـه من نضرة تتألـق
لا تستبين مدى له عين الفتى … كالبحر في ليل ضرير يغسق
نضرت مرابعها بمخضل الندى … حتى كأن جميعها الاستبرق
في كل مندرج بها لكرامة … علم بأجنحة العقاب ترنـق
طابت منابت تربهـا وتألقت … عن كل زاهرة تروق وتعشق
ما كان بدعا أن تطيب غراسها … ودم الضحايا مائـج متدفق

وازاءها ماض يشوق كتابه ... فيه الفخار مدبج ومنمق
صفحاته فوق الثرى منشورة ... هيهات تبلى أو ترث وتخلق
سطر الفخار بهن كل عظيمة ... عن غابر بشذا المكارم يعبق
ويطل تاريخ يشع ضياؤه ... من دونه تعنو الرقاب وتطرق
بردى نشيد خالد عن غابر ... تاه الزمان به وعز المشرق
غنى جنان «الغوطتين» ودمعة ... من لاعج الذكرى يسيل ويدفق
فاذا الخمائل تنثني من نشوة ... عجبا ويهزج مطلق ومطوق
وأكاد ألمس بالهواجس ما انقضى ... من غابر اضواؤه تتألق
وأرى (أمية) بالحديد تقنعت ... وجرت بمضمار المكارم تعنق
راياتها ملء الفضاء تقاطرت ... وكأنها السيل الذى لا يلحق
ولها اذا جد الوغى في مأزق ... همم تضيق بها الصدور وتشهق
في (الغوطتين) ملاحم مسطورة ... فوق الثرى ولكل نصر فيلق

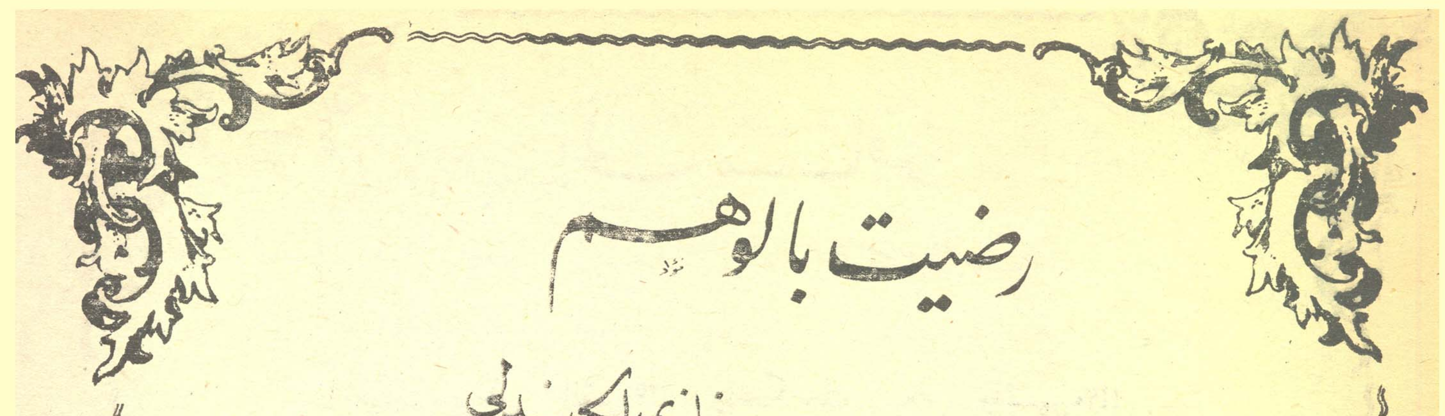
طبيعة صامتة

محمد منذر لطفي

وكوخ ركبت اليه الصعاب على سفح رابية قد غفا
يؤدي اليه مدق[1] عجوز يحف به الحور أنى مشى
تعيش به الذكريات العذاب نشاوى .. وتجتر عمرا مضى
اذا هدهدته أغاني الرياح أعاد الى النفس رجع الصدى
غزتـه السنونو بأسرابها فسرب أغار .. وسرب نأى
تضاحك أبوابـه والرفوف ونافذة قد طواها الكرى
لقد عشقتها صغار الطيور فأمست لها المسكن المبتغى
به مسكران .. صفاء الحياة وعطر الازاهر اما فشا
نديماي فيه أغاني الهزار وطيف النسيم اذا ما سرى
ينام .. اذا ما أفاق الزمان ويصحو .. اذا ما الزمان غفى
تركت يراعي به شاردا فعب من السحر حتى ارتوى
وعدته العدة المشتهاة سرير .. وكأس .. وأشهى الدمى
وطاولة .. وصحاف عتاق ومتكأ غاص حتى الثرى
وشباكه صبوات الضياء وقنديله قد علاه الصدا
ومرآته سفر حب مضاع حوت في الترائب سرا ثوى
وفي ركنه صورة ضمها اطار قديم عراه البلى
تمثل غانية في العرا تريش السهام لظبي الفلا
يحيط بها النخل كاسي الرؤوس .. نقي السريرة .. حلو الجنى
بقلبي أحفظ كوخ المسرات .. أفدي مزار الهوى .. والهنا
بروحي أفديك يا متحفا رأى الطرف من سحره ما رأى ..!



أترى يرحل القمر؟!! والحكايات ،•• والسهر•؟!!
وليال كأنهـا لثغة النبع •• في الحجر ••
كلما عن وجهها •• مزقت قلبي الصور •••
كيف تمضي وفي دمي **ظمأ الرمل •• للمطر •••**
كيف تمضي وحلتها ألف دنيا •• من الذكر •••
فهنا رف شعرها وهنا **عطرها انتشر •••**
وهنا رنق الاصيل على **وجهها الخفر •••**
وعلى المقعد الحزين • بقايا •••••• هل **أعتذر؟•**
ذكريات •• كأمسها **مهملات** هي الاخر
لكأني أحسها في المصابيح والشجر •••
يحمل الريح صوتها وصدى الآه ••• والخفر
ورنينا تغوى به ضحكة •• تفضل العمر •••
كل شيء يمر بي **خلته طيفها عبر**
انها لم تزل هنا **تملأ القلب والبصر**
ليس شيئا أراه **الا ومنها به أثر**
انها العمر والفراق •• وعمر **الهوى •• سفر**



رضيت بالوهم

غازي الجندلي

رضيت بالوهم زادا فارفعي العتبا ... لن يفلح اللوم في اخماد ما التهبا
أنت الربيع لقلب جف مورده ... فلا تلومي غريقا يبتغي سببا
لي في رحابك آمال تهدهدني ... وبسمة منك تمحو الهم والعتبا
دنياك فيض عطاء لا حدود له ... ورغم قربي أعيش العمر مغتربا
دنياك نبع حنان دافق أبدا ... وان سألت قليلا جف أو نضبا
دنياك كالنار تغزو ما يحيط بها ... ولي فؤاد ترامى حولها حطبا
يقدس النور في أحداقها ولها ... وينحر النفس في أحضانها سغبا
هيهات يصحو وفي عينيك فتنته ... هيهات ينجو من النيران من قربا
لولا عيونك ما اخضلت جوانحه ... رغم الحريق ولا عانى ولا اضطربا
عيناك ـ والهفي ـ ان رف هدبهما ... آمنت بالسحر لا زورا ولا كذبا
فليهنأ الحسن ان أطعمته كبدى ... وليهنأ السحر اني أعشق الهدبا

دمشق الحسناء

عبد الجبار الكيالي

سألت قلبي هل تصبو لمرآها أجاب قلبي : أنا هيمان أهواها
حسناء ترفل في دل شمائلها والصب مفتتن يحيا بمحياها
تراقص الطير في أفيائها طربا وراح ينشر في الدنيا حكاياها
بلابل الدوح جذلى من مفاتنها ونشوة الزهر تسقى من حناياها
وينثني عودها ريان منتشيا ويرتمي الشيب مقهورا بدنياها
كم وشوش الزهر في آذان روضتها وسبح الروض مخضلا برياها
وكم ترنح فيها عاشق ثملا وكم تفجر شعرا من عطاياها
تنافس الخلق بالقربى لها ولعا وأسكر الخلق من ألحان مغناها
والكل يبغي سناها عاشقا ولها يهفو لمبسمها ، يبغي محياها
ويقطف الكل من أعطافها وطرا فينثني راغبا في ظل مأواها
يحيا بنعمائها نشوان أسكره حب الجمال عن الدنيا ونعماها
فيحاء من هيبة الايام صبوتها أغفى الزمان وما أغفت سجاياها



سأمضي

محمد احمد حيدر

أيهنيك ذلا ما لقيت وما ألقى
جمالك ، شعرى فيك ، أيهما ألقى ؟

عرفتك لم تضحك زهور ولـم تمج
ثمار ، وفيك الزهر والثمـر الارقى

عرفتك أشهى ما اشتهيت بلوغـه
وها أنت لا أشهى شفاها ولا أنقى

فؤادى ، وهل يهنيك أن شجونـه
تمريه ريح سمومية حمقى

أحبك ، كـم أتعبتني ألف مرة
أرى صبا ، أرى عاشقا يشقى

سأمضي ، لعل الكأس كفي سقت به
شفاهك نفس الكأس ، حبابـه أسقى



الاستاذ بدر الدين علوش

أربعون سنة في خدمة رسالة الحق والعدل

في عام ١٩٣٧ تخرج الاستاذ بدر الدين علوش من معهد الحقوق وانتسب الى المحاماة وكان من شباب حماه البارزين الذين ساهموا في الحركة الوطنية واشتركوا في مقاومة الاستعمار والطغيان وكان من المناضلين الذين وضعوا لنبات في تحرير العمال والفلاحين ·

وفي عام ١٩٤٥ وقع اختيار المرحوم عارف النكدي عليه ليكون قاضيا للصلح في قضاء جبلة وظل يتنقل من بلد الى بلد ومن محافظة الى أخرى حتى أسندت اليه رئاسة محكمة النقض في مطلع ١٩٧٣ وكان كلما انتقل من بلد الى اخر تقام له الحفلات الوداعية وتلقى الخطب والقصائد في تعداد خدماته وتجرده وطهارة وجدانه ·

لقد عاش الاستاذ علوش خلال هذه المدة الطويلة في ضنك وحرمان حتى أن اسمه لم يدخل السجل العقاري في هذه البلاد فكان أشبه بالعامل في مناجم الماس ـ على حد تعبير بيرو كالماندري ـ حين يقوده عمله الى فرص الثراء الفاحش فلا تمتد يده الى ما تستطيع قطعة صغيرة منه أن تؤمن حياته وحياة من يحب ولكنه يقنع بأداء واجبه وحسبه أن يوفر نعمة العدالة الى النفوس الظامئة اليها ويسهم في ارساء قواعد الايمان بالحق والخير في نفوس المواطنين ·

ان الاستاذ بدر الدين علوش لم يستلهم في عمله خلال ثلاثة وثلاثين عاما وفي الاف الاحكام التي أصدرها الا ذلك الهاتف الداخلي الخافت ينبعث من أعماق وجدانه حرا طليقا بعيدا عن النزوات والاهواء والميول ·

ثلاث وثلاثون سنة قضاها الاستاذ بدر الدين في خدمة القضاء ولم يجن خلالها غير السمعة الحسنة والسيرة الطيبة فانطبق عليه قول القائل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الاعمال

وقد استطاعت « الثقافة » أن تحصل على بعض تلك القصائد والمقطوعات الشعرية التي كانت تجيش بها صدور أصدقائه من الشعراء الاوفياء عندما كان ينتقل من منطقة الى منطقة ومن محافظة الى محافظة والتي كانت تعبر عن كريم عواطفهم ونبل مشاعرهم وهي تقدمها الى قرائها بمناسبة احالة الاستاذ بدر الدين علوش الى المعاش في نهاية هذا العام :



الاستاذ بدر الدين علوش
بمناسبة احالته الى المعاش في نهاية هذا العام

يا أبا مازن ويهتز مجد
لقضاء منزه مستبين

قولك الفصل بين جد وهزل
فعلك الفعل بين حزم ولين

تخصب المنبر الجديب بقول
أكثمي عن الفضول مصون

أنت من المعية وصفاء
تصرع الظن في شهاب اليقين

بدر دنيا من السماحة والبشر
وفي الصالحات بدر الدين

حافظ طيفور

من حماة الى جبلـــه

في عام ١٩٤٥ عندما عين الاستاذ بدر الدين علوش في القضاء وترك المحاماة وغادر حماة الى جبلة ودعــه الشاعر الوفي الاستاذ أحمد الجندي بهذه المقطوعة الرشيقة

يا صديقـا الى الفراق دعانـا ومحبـا رام البعـاد فبانـا
أنت ان غبت فالجوانح مـأ واك تلاقى في ظلهـا قلبانا
نحن من يألف الصحاب بدنيا رف في صبحهـا الندى صبانا
قلبك الصفو رائـق سلسبيل يتقراه قلبنـا ظمـآنا
ان ترحلت فالوداد مقيـــم أو تبقيت كنت أشهى منانا

أحمد الجندي

من جبلـة الى صافيتـا

وفي عام ١٩٤٦ نقل الاستاذ بدر الدين من جبلة الى صافيتا فودعه شعراؤها بقصائد تندى بالوفاء نقتطف منها هذه المختارات

وداعا وداعا يا أخـا الحـزم والنهي

تألق بدر الدين بدر عدالــة على جبلة فانجاب عنهـا دجى الظلم
عزيز علينا أن نودع شخصه ونحرم نبراس النزاهة في الحكم
لئن شئت يا بدر انتقالا فاننا أبيناه لكن أنت صممت في العزم
فان لنا حق العتاب عـلى الذى فعلت وهل يجزى الاخـلاء بالصرم
على أننا نرجو لـك الخير أينما حللت وانى سرت في السهل والحزم
هنيئا لصافيتا فقـد سعدت بمن تحلى بحسن الرأى والحلم والعلم
وداعا وداعا يا أخـا الحـزم والنهى ويا صاحب الوجدان والذوق والفهـم
ستبقى هنـا الارواح في حـال الفة وان غبت عنهـا أيها البدر بالجسـم

رشاد علي أديب

شعلـة الحق

طلـع البـدر فولى الليـل وارتاحت نجومـــه
ومشى العدل طليقــا تتقراه حلومـــه
وارتمى البغي صريعــا تتنزاه كلومـــه
لست أدرى كيف عـادت بعـد ما زالت غيومـــه
كيف مرت شعلـة الحق وهـل تبقى رسومـــه

ذبل الغصن ولوى بقناه مستقيمه
وانحنى الورد كئيبا يتغشاه أديمه
سر فمن دونك يا بدر على الافق تخومه

عيسى السعود

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

دجى عارم البلواء مزقه بدر تبرعم في أشقى مشاعرنا شكر
فلا قلب الا قال للشمس هانئا وداعا ففينا النور والعدل والطهر
وما أن نأى حتى تمثل يائسا وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ابراهيم منصور

تحية من الشاعر الاستاذ عيسى سعود
الى القاضي الاستاذ بدر الدين علوش

الى البرج أهدى للصديق سلاميا وخير المطايا ما حملن القوافيا
وأبعث في جو النسيم رسالة أطاع بها في جوه ما عصانيا
عليها لبدر الدين صدق وفائها وحق لبدر الدين صدق وفائيا
عرفت به ذاك الاديب وقلما رأيت على الدنيا أديبا وقاضيا
اذا قام في يوم خطيبا بمعشر يريك المنايا حوله والامانيا
لكل الدراري عودة لسمائها فهلا يعود البدر نحو سمائيا

١٩٤٧ عيسى سعود

شاعر صافتنا الاستاذ عبد اللطيف ابراهيم
يرد التحية الى الشاعر الاستاذ السعود

تحية حب أم ندى وأقاحيا تصفحت أم أسلاك در غواليا
تحية مأمون الصداقة مخلص يحيى على بعد أديبا وقاضيا
عرفتك يا عيسى أديبا وشاعرا من الشعراء المبدعين قوافيا
يحييك بدر الدين من أوج برجه ويهدى سلاما طيب النشر زاكيا
اذا غاب عن افاق جبلة شخصه فان سناه ليس يبرح باديا
خطيب كأن اللفظ طوع لسانه فما اختياره الا نقيا مواتيا
اذا ما علا فوق المنابر لم يكن لينزل الا رافع الرأس عاليا
نزيه عن الاغراض ناء عن الهوى يمثل في أحكامه العدل جاريا

لـه سنن من عقلـه وضميره وأخلاقـه يجرى عليهن راضيا

عبد اللطيف ابراهيم

يا مشعلا للحق

يا مشعلا للحق يجرح مهجة الليل المديد
يا بدر حطمت القيود ودست أوهام القيود
هذا الزعيم كأن فيه كل شيطان مريد
ذاك الزمان ، مضى **القديم** ، ونحن **في العهد الجديد**
البدر يصفع **ظلمة** الماضي **بمطلعه السعيد**
فنرى **على أضوائه** شيئا **من الامل الشرود**
ونرى الغد المرجو يلبس للشباب ثياب عيد
ويجن بالانوار ترقص فوق آفاق الوجود
يا بدر **حطمت** القيود ودست أوهام القيود

١٩٤٦ محمد كامل صالح

من حلب الى دمشق

يا قاضيا فوق الظنون

يا بدر نورك لن يغيب وأنت في **كل القلوب**
حلب الحبيبة أطرقت أسفا على **نقل الحبيب**
هذى المحافل رجعت ذكراك **بالحمد الرطيب**
لك **سيرة محمودة** عبقت رؤاها بالطيوب
من نحن الا الذكريات الخافقات على الدروب
لا بد من يوم تؤوب به بعيد أو قريب
كالبدر تعلم أنه سيؤوب من بعد الغروب
يا قاضيا فوق الظنون وفوق أوهام المريب
اللمح في أحكامه والعدل في الحكم المصيب
ما غاب من لهج الغريب بحبه قبل القريب
قلبي تألم للفراق لانه قلب الاديب
لكن به أدركت أنك كنت أكثر من حبيب

حلب ايلول ١٩٦١ خليل الهنداوي

يا سيرة تسقي الصباح نقـاء

جارى العزيز يريدها عصماء بجناحهـا تتلمس الجـوزاء
ويقول هات وما حملت جوانحي الا لاحرقها هوى ووفـاء
الا كرمان الحب ملء ضلوعنا واخوة تسع الوجود صفـاء
جارى وتعرف فاضلا أنشودة بين الرفاق وبسمة زهـراء
يدعو الى وترى شوارد لحنه من بعـدما فجرتـه انواء
لا تلمس القيثار بدر في دمي نبض يعيش عقيـدة واخاء
خلفت اعصارى على وهج الضحى وحملت ما ترك الهجير مساء
أنا لا أخاف الليـل لي من اخوتي ما يملأ الحلك الرهيب ضياء
لو تقفر الدنيا وتسلم نبتـة منهم رددنـا الجنـة الخضراء
ما كرمتك مدينتي بـل كرمت معنى الرجولـة صافيا وضاء
اني لاعرفهـا مدينـة عبقر والخلد اني أعـرف الشهباء
نحتت من الصخر المنيع رجولة وعقيـدة ، لا قلعـة وبنـاء
يا ملهم القيثار أعذب لحنـه يا سيرة تسقي الصبـاح نقاء
عمر زرعنـا بالعبـير طريقنا فيـه وأرضينا الجباه ابـاء

حلب ايلول ١٩٦١ سليمان العيسى

رئاسة محكمة النقض

وفي مطلع عام ١٩٧٣ أسندت الى الاستاذ بدر الدين علوش رئاسة محكمة النقض وهي من أكبـر المناصب القضائية في البلاد .

فالحق كالشمس ان أخفيته سطعا

اذا القضاء تداعى جانباه رأى بقولك الفصل مرتادا ومنتجعا
فانطق بحكم جلال الحق هذبه واحكم بعدل اذا ما قلته ارتفعا
واهنأ بجهدك ان الجهد مكرمة للحاكمين ، وخير الحكم ما نفعا
بلغت بالعلم ما ترضاه من أمل كأنه (البدر) بعد الليل قـد طلعـا
قد قلت قولي لا أبغي بـه سرفـا فالحق كالشمس ان أخفيتـه سطعا

احمد الجندي

فانعم بحب جميـع الناس

بعثت في كل قلب يائس أملا لما القضاء أتى يشكو لـك العطـلا

فكنت للعدل أندى ما يهيم به — من الحياة وأسمى للحياة علا
فأنعم بحب جميـع الناس انـك في — أعماق كل فؤاد تملك السبلا

حمص : عبد الرحيم الحصني

فيا قاصدي قصر العدالة أقبلوا

علوت على هام القضاء محلقا — فهلل دوح في ذراه وصفقا
رأى بك غصنا مخلصا لا يخونه — اذا ما عـلاه ورده متسلقـا
يفوح كما تهوى العدالة فوحه — فيرشف منه الحق عدلا معتقا
يضيء عليـه البدر لا ظلمـة ترى — ولا غيمة تبدو اذا البدر حلقا
سينعم أهل الحق فوق بساطه — يظللهم كرم الامان مطوقـا
فيـا قاصدى قصر العدالـة أقبلوا — فلن يرجع المظلوم عنه محرقا

محمد الحريري

وأمرنا اليوم يبغي الحازم الرجلا

يـا بدر ، يا قمـرا يزهو بـه أفق — لا غاب عن أفقه يوما ولا أفلا
من اسمك اليمن فالاضواء ساطعة — تضيء للركب في ادلاجه السبلا
ما زلت في فلـك الامجـاد مبتدرا — مطالع السعد حتى لحت مكتملا
علوت ذروتنـا العليـا فتوجها — من ذكرك العطر الفواح غـار عـلا
معادن ، بعضنا يهوى بقمتـه — وبعضنا يصبح الوادى به جبلا
فقهـا جمعت واادابا معتقـة — هذا دواء ، وهـذا ان نهلت طلـى
تفيض بالعلم لا من ولا كـدر — كالعين من جاءها مستسقيا نهلا
كالروض طبت غراسا ثم طبت جنى — ظـل يرف وطعم في المذاق حـلا
علوتها وعنان الامـر مضطرب — والة العدل تشكو الضعف والخللا
وحسن فعلك يروى غير متهم — لليائسين حديثا يبعث الامـلا
فيك الرجولة تبدو غير خافية — وأمرنا اليوم يبغي الحازم الرجلا
حبالك الامن والامال وارفـة — وثم صوت عـلا : « يا بدر حي على »

حماه : محمود البارودي

وفي خريف عام ١٩٧٣ أصيب الاستاذ بدر الدين علوش بمرض خطير هو : التهاب في شغاف القلب مما اضطره لدخول المستشفى الطلياني لمدة شهر ونصف . وقد تقاطر زملاؤه وأصدقاؤه الى المستشفى للاطمئنان على صحته أما الاستاذ سليمان العيسى فلم يسمع بهذا المرض ولم يحضر الى المستشفى وأخيرا اتصل بعلم الشاعر أن صديقه عاتب عليه فأرسل اليه هذه المقطوعة :

الى العزيز أبي مازن
من سليمان

أبا مازن ... لو أمطر الحب مرة ... لكان اسمه أو بعض أسمائه العتب
يظل الرفاق الاقدمون على فمي ... نشيدا ويخبو النجم والامس لا يخبو
أأنسى ؟ تعرى القلب من كل خفقة ... اذا ومشى في واحة العمر الجدب
أشد على كفيك فأسلم من الاذى ... لانت معي وليصمت البعد والقرب
يظل الرفاق المتعبون بخاطرى ... ويحملهم ضوءا على هدبي الهدب
تزورك أبياتي ... تدق على الهوى ... شبابيكنا لا العهد شاخ ولا الحب

سليمان العيسى

فليسلم الينبوع منسكبا

سلم الفؤاد المرهق التعب ... لامسه وهن ولا وصب
قالوا الشغاف فقلت أرهقه ... شغف العلى والفقه والادب
قلب به من فيضه لجج ... ومن العزائم هادر لجب
ان يكب فالفرس الجواد كبا ... ثم انثنى يحدو به الغلب
ضاءت ليال بعد عتمتها ... وتقشعت عن « بدرها » السحب
فليسلم الينبوع منسكبا ... ان أمه صرعى الظما شربوا

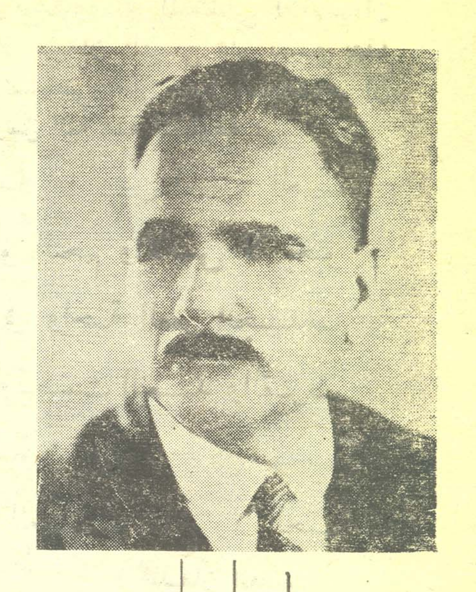
محمود البارودي

القلب الكبير

بيني وبين البدر ظل عتاب ... وشحته بالزهر والاطياب
وبعثته كالماء يطفىء بردها ... سؤر اللظى في خمرة الاكواب
حملته من دفء قلبك نفحة ... بعثت ربيع العمر في الاهداب
صهرت أفانين الشتاء وابدعت ... اذار بستانا على أبوابي
منحا أردت القلب حتى أصبحت ... ابعاضه في الناس فيض ملاب
كرم ونشربه اخاء خالصا ... ثرا ولم يمنعه طول شراب
ضل الوشاة فلن يجف على المدى ... دفق ينضر دوحة الطلاب
ما كان ينتظر الطبيب ولا ونى ... قلب ولكن ربضة الوثاب
اني أقدر للرجولة حقها ... « فانس العتاب فقد نسيت عتابي »

نوري الحسيني

من روائع اقبال



قوموا الى فقرائي في الدنيـا وهزوهـم
وهبوا الى قصور الامراء وزلزلوا أركانهـا
أوقـدوا نـار اليقـين في العبيـد
وعلموا العصفور كيف يقـاوم الشاهـين !
لقـد آن لابن آدم أن يحكم نفسه بنفسه
فامحقوا كـل ما تلقونه من التقاليد البالية !
اذا لـم يتيسر للفلاح خبزه في حصـاده
فاحرقوا كـل الحبوب التي ترونها في ذلك الحصاد
لم الواسطـة بـين الخالق وعبـده
أخرجوا الكهنـة من صوامعهـا
يسجدون للحق ويطوفون حول الصنم
أطفئوا اذن سراج الحرم والديـر
عمـروا لي من جديـد معبد طـين
فقـد مللت أعمـدة الرخام
علموا شاعـر المشرق الادب الجنوني
اذ ليست المدينة الحاضرة سوى مصنع زجاج متحطم !.

محمد اقبال

عين حبيبتي والاغتراب

عبد الكريم الناعم

عيناك ... لا القمر

سفري ، وزادي ، والهوى سفر .

سافرت في الرحب المطير ، وهزني الشوق القديم ،

فجئت أنتظر

غزلتك أمنيتي حنانا ،

مهجتي حفظت قراءات المودة كلها ،

فتبرعم الزهر ، لغـــة ، قوافي ،

مركبا بالمسك يرسو في الصباح

يمضي الى كل الموانيء غير مينائي ،

فأسأل كل رواد المقاصف ، والملاهي العابرين ،

ولا جواب

أنمو على هدب التوجس ،

أغرق الآمال بالحمى ،

أدارى **لهفتي الحرى ،**

يطوف بلهفتي كأس الشراب

والحزن ، والوتر

حتى اذا ضم الجناح على الجناح

ألقاك في ذاتي ، وألقاني مع الترحال أنتظر .

● ●

يا ربان العمر السارى في الامواج ـ رعاك الله ـ تمهـل

اني آت ، فاحملني زهرا .. أتفتح في أروقة العمر المقمر

ياربان العمر تركت خرائط منفاتي القمرية في الخمارات الازليه

أراك تعبت ،

فواساني ،

ودلفنا في الطرقات الخلفيه

أذنت على أبواب الصبح بأعلى صوت جرحه الحزن الغجرى

صليت بأهل الفقر صلاة الاموات الاحياء

صليت بأهل العشق صلاة لا يعرفها غير البؤساء الفقراء

لم يطعمني الشعر الخبز ، فأطعمت الاشعار النار

قلت لآخر « درويش » من أهل السر :

« توضأ بالعين النجلاء تفتح في الصدر الاسرار »

ضحك السكير المتشرد ،

قلت : تذوق خمرتها ،

فبكى الدرويش ،

قرأت عليه القائيات ،

تشهد ،

أعـول ،

أطعمني تمرا هجريا ،

خبت في الاعراق خيول الفرح الطارى ،

صاح السكير المتشرد : هذا بيتي ،

ضحك الحارس ،

ودعنا الدرويش وراح يردد شعرا صوفي النبرات

أيقظ في صدرى الكلمات

فقرعت الابواب السبعه

كانت تفتح لي **الكلمات**

آخر بيت .. **كانت كلمته ميناء**

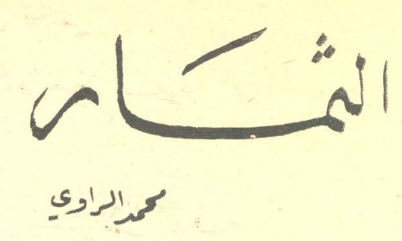
ميناء للهم ، **وللاقلاع ، وللاحزان**

قلت لآخر سكير شرده العشق :

وفتحت الباب
وقصيدة بالشوق تختمر
الا حين أستعر
والكأس والسهر
أواه من عينين لا تستنزلان الدفء
آخر باب ، كنت الميناء الربان

● ●

بمبناك والسهر
شمسان ضاحتان ، تغتسلان بالطل
حقلان من فل
وأنا أريجهما
والكأس ، والوتر
يتفصد العشق المصفى من حفافي كأسي الولهان
يجهش حين أستعر
تتنزل النجمات تسألني الرضى ،
فأظل في الغي القديم ،
أشيح وجهي ، تقبلين
وتعبرين مدارك النارى ،
ألمس وجهك الخمرى ،
تغترب الاماني ،
أغلق الجرح القديم ،
أدور حولك ، أدور حولك ،
آه يا فلكا من الرغبات يحملني الى مدن التغرب ،
والتوجع شاعرا ..
آياته الشرر



الثمار

محمد الراوي

من سوء حظك أن تسمع صراخا وكأنك تتمنى الموت لكل حي .. تنتظر هنا كالذئب وترهف السمع ناحية البيت المختفي وراء عريشة العنب ، وأشجار التفاح والليمون ، تتربص كالحيوان ، يرتعد جسدك وتتقلص عضلاتك تتشمم الهواء بحثا عن حادثة تود أن تقع . وأنت لا يخيب ظنك ، تريد للشيء أن يقع فيقع .

تنتظر أن يسود الصمت فترة طويلة ولا تريد أن تسمع الصرخة الحادة التي قد يحملها اليك الهواء . تعد نفسك للحظة التي تستولى فيها عليه ، تعطيه لأرضك تمتصه وترد لـك العطاء أبهج وأحـلى ، فيعلو مقامـك أكثر وتظل سيد السوق بـلا منازع ، ولا يعرف أحـد سر براعتك وحظـك الضارب . ينظرون الى ثمارك الممتلئة الناضجة ثم يخفضون رؤوسهم الى الارض حسرة على أنفسهم وعلى ثمارهم .

لكن الزمن يطول بك وأنت فوق قطعة الحجر هذه ، تطل على حقلك وتولى وجهك للريح الخفيفة التي تهب من ناحية البيت . ترى الاشباح السوداء ، ما تزال تتوالى ، تتحرك متجهـة الى المدفوس بـين حائطي الطـين ، يدخلـن متتابعات ، صامتات ، من بعيد . يثرثرن بالداخل يتركنها فوق فراشها مفتوحة الساقين تتلوى من الألم تبدو أشباحهن سوداء تجتاز حقلك الاخضر الغالي ، فيلحن لك كتلا قاتمة تزحف فوق أرضك الى المدخل بعد أن يقفزن من فوق المصرف الصغير ، وبدلفن الى الممر الواطيء ويدفعن الارض كما يفعلن دائما . تود أن تخنقهن واحدة وراء الاخرى ، فانك تبغضهن عندمـا يلتففن حـول أنفسهـن بأرديتهن السوداء الواسعة ، يثرثرن ، يلحن أمامك كقطيع من البهائم .

قم اليها ، ولتر ما يحدث ولا تجعل أحدا يراك ،وأنت تحوم حول البيت ، فهي تعرف ، وبعضهن يعرفن ، يتابعنك بعيونهن المكحلة ، من تحت جفونهن . تسلل داخل تعريشة العنب وتطلع من ثقوب النافذة الخلفية ثم عد وانتظر ، لا بـد أن تفعل ، فبعضهن يرقدن أياما قبل أن يلفظن ما في أحشائهن .

سار الى البيت ، مقتربا من الواجهة الخلفية الواقعة في أحضان تعريشـة العنب ، تقـدم ببطء من خـلال الاعمدة الخشبية ، التي تعلقت بها الفروع والتفت حولها ، المحملة بالاوراق وعناقيد الثمار .

كانت رائحة الطين والاشجار تملأ أنفه ، يشم زخمها أكثر كلما حرك أحد الفروع أو غاصت قدماه في الطين . اقترب من النافذة الخلفية المغلقة وألصق أذنه فوق اطارها الخشبي فسمع أنينا ولغطا . نظر من ثقوب النافذة ، وفي ضوء الفتيلة المشتعلة رأى الحمامات فوق الدولاب ، وظلال النسوة عند الباب تتراقص وتغطي جدران الحجرة وزوجته في فراشها ، رأسها ناحيته بالقرب من النافذة لا يرى من وجهها الا طرف أنفها المرتفع ، الملتمع من العرق ، رافعة مرفقيها الى أعلى . قابضة على حافة السرير النحاسي بيديها ساقاها مقوستان ، تغطيهما بملاءة . في مواجهته امرأةقابعة بين ساقيها تنحني وتعتدل ، تغسل يدها في وعاء مملوء بماء مائل للحمرة تمسكه امرأة أخرى واقفة بجوار الفراش .

صرخت الزوجة ، سحبت المرأة يدها من بين ساقيها وأمسكت ردفيها بينما كانت الزوجة ترتفع ببطنها المنتفخة الى أعلى ، تاركة فراغا كبيرا بين جسدها والفراش مرتكزة على كتفيها وعجيزتها .

ابتعد عن النافذة راكعا على الارض . أخذ يتعصر

سمعت وقـع قدميه وهـو يعبر حوش البيت ، شدت الطين بقبضته لاهثا .

ملاءتها على جسدها الممدد على السرير ، انتظرت دخوله • تجمعت بعض الحشرات والفراشات حول ضوء الشعلة المهتز ، تراقصت الظلال فوق جدران وأرضية الغرفة •

فتح الباب نصف فتحة دلف برأسه وتطلع الى السرير نحوها أحست بوقع عينيه على جسدها ، على السرير كله ، رفعت الملائة حتى حافة الشفة السفلى ، ارتعشت •

تجولت عيناه في أركان الغرفة كانت ما تزال الانفاس الحارة وكان الضوء ضعيفا متراقصا فبدت محتويات الغرفة شاحبة غير واضحة المعالم •

عينان جاحظتان خرجت من محجريهما ، تستقران وتعتليان الوجه كله ، شفاه غليظة تلمع دائما برضاب يلصقه عليها من حين لآخر •

ـ خرجوا •• ادخل •

كان المولود ملفوفا في قماش أبيض باهت في الجانب الآخر من السرير ، لايتحرك • اقترب منها ، وضع يده على عمود السرير الكبير واستقرت الأخرى على حافته •

أحسست بك •••

أحاطت أشجار التفاح والليمون بالبيت ، وأخفت تعريشة العنب ملحقاته كانت الريح الخفيفة قد بدأت تشتد فاهتزت الأشجار بالخارج •

ـ أحسست بعينيك فوق السرير •• فوق جسدي وأنا ألد •

توقفت عيناها للحظة على كتفه ، ذراعه ذات الشعر الكثيف التي انحسر عنها كم جلبابه الواسع • جدران الغرفة مشبعة بحرارة النهار وبأنفاس النسوة • أعمدة السقف السوداء تزيد من حرارة الغرفة • كانت الشمس قد غابت منذ ساعات وراء الترعة الغربية ، بينما أخذت الارض في الليل تنفث كل ما اختزنته من حرارة النهار •

ـ أخبروني في المقهى •

نظرت في عينيه ، في جحوظ عينيه • وجدها مازالت متشبثة بالملاءة ، وجهها أصفر وحول عينيها حلقات زرقاء داكنة •

ـ لم تكن في المقهى ••

كانت ترقبه ، حذرة ••

ـ كنت هنا •• أحسست بك قريبا •• في الحقل •

ـ عبرت الجسر •• جئت عندما لما أخبروني ••

مدت يدها وتحسست لفة المولود بينما كانت عيناها تتجولان في وجهه • ذقنه مدببة ، كثيفة الشعر ، قطرات من العرق تعلقت في أخاديد الوجه •

ـ لاتحزني •• سوف ننجب غيره ••

نظر ناحية السرير ••

ـ أين هو ؟

قبضت يدها على أطراف اللفافة ، كانت جامدة لا تستجيب • فتحت فمها لتتكلم لكنها أغلقته وتنهدت بعمق• كانت الفتيلة المشتعلة في جوف الحائط تبعث نورا خافتا مرتعشا ، وكانت الظلال مازالت تتراقص في أرجاء المكان •

أدركت رغبته ، تغضن وجهها وامتلأت عيناها بالدموع

ـ لا تأخذه •••

ـ انه ميت •

ـ لا تأخذه

ـ انه ميت •• سوف ندفنه •

ـ تدفنه في المقبرة •

توترت عضلات رقبته وبرزت عظام فكيه •

ـ هنا •• بعيدا عن مقابر المدينة ، ومقابر القرية• لا أحد يعلم •• لاأحد يهتم •

ـ لكنك لن تأخذه ••

المولود في الناحية الآخرى من السرير ، بجوار الحائط يقف بقربها وقد غطى ظله السرير والحائط المقابل •

استدار بوجهه وأخذ يحملق بفم مفتوح وأسنان مفلوجة في الكنبة الخشبية بجوار السرير ، وفي الدولاب ذي الضلفة الواحدة ، وفي الحمامات التي وقفت ترقب ما يجري في الغرفة

ـ تخلى عن هذه الفكرة •

قال لها وهو ينفث كلماته في وجهها •

ـ أية فكرة ٠٠ ان الحوش أقرب من المقابر ٠٠

سمع نباحا بعيدا ردت عليه الكلاب ، خارج البيت ٠ اعتدلت قليلا بقامتها ٠ نسيت أن تشد ملأتها هذه المرة ٠

ـ في المقابر لا يخرجون الجثث بعد دفنها ٠

ـ بعد عام لاتكون جثثا ٠٠ انما تراب وعظام ٠٠

جلست على السرير وغطت وجهها بيديها وأخذت تبكي ٠

ـ تفعلها لثالث مرة ٠

اقترب منها ، شعرت بأنفاسه على وجهها ٠

ـ تلدينهم موتى ، وأنا في حاجة اليهم ٠

ـ من اجل خاطري ٠٠ لاتفعل ٠

عاد النباح من جديد ، ردت الكلاب القريبة النباح بصوت أقوى ٠

ـ الجميع هنا يعلمون أي نوع من الثمار تطرحها أرضي ٠

اشتدت الريح وهي تعبر فوق الحقل زحفت الضفادع على ضفتي الترعة الكبيرة والمصرف ملأت الفضاء بنقيقها وحشرات الأرض خرجت من شقوقها تزغرد وتصوصو بينما أغرق الليل كل الحقول بظلمة كثيفة ٠

ـ ان أرضك ملعونة ، وثمارك ملعونة ٠

ـ اخرسي

ـ وأنت ملعون ٠

أمسكها من شعرها وأخذ يهزها ويجذبها بعنف امتدت يدها تحاول تخليص نفسها من قبضة يده ما لنحوها محاولا الوصول الى لفة المولود ٠ ارتمت عليها ، احتضنتها ٠

نتشاجر من أجل مولود ميت ؟

وقف معتدلا بالقرب منها فاقدا أعصابه ٠

ـ ماذا يهمك أن ندفنه هنا أو في ٠٠

ـ مجنون ٠٠ مجنون ٠٠ ليس عندك رحمة ٠ تأخذ أطفالي لتأكل أرضك أجسادهم ، تأكل ولدي هذه المرة أيضا أنت لا تعرف ماذا أرى بالليل ، حينما أخرج الى الأرض أرضك واقترب من أشجارك في الحقل ٠٠ التفاح ٠٠ والليمون كنت أراهم أحيانا ٠٠

ـ ماذا تقولين ؟

ـ في الظلمة كنت أراهم وهو معلقين على غصونها ، غصون أشجارك ، في الليل حين أجوس خلال الحقل ٠٠

ـ اسكتي ٠

ـ كانت الثمار كوجوه الأطفال ٠٠

ـ استرحت الآن اتركي لي هذه الجثة قبل أن تتعفن

ـ وجوه أطفال تبكي ٠٠

خارت قواها ، انزلقت مرة أخرى على فراشها ٠

ـ جعلتني لاأخرج في الليل ٠٠ أخاف أن ٠٠٠٠ أمسكت ذراعه بكلتا يديها

ـ لا تأخذه ٠٠ اتركه لي هذه المرة ٠٠

جذب يده ، تشبثت بكم جلبابه ، دفعها بعيدا ٠

ابتعد عن السرير ، انحنى بقامته الطويلة على الأرض جذب اليه فأسا ، متمتما لنفسه :

ـ ان ثماري ممتلئة ، رائعة أحبها متدلية من أغصانها لاأراها تبكي ابدا ، انها تضحك لي ، تنحني لي ٠٠ قبل أن أقطفها ٠

التفت اليها

ـ سآخذ المولود عندما انتهي من عمل الحفرة ٠

خرج الى ظلمة الحوش ومعه الفأس ٠

محمد الرواي ـ القاهرة

دين لأبي العلاء يطلب الوفاء

• خليل هنداوي •

كلما فكرت في أبي العلاء ... هذا الانسان الذي تمثلت فيه الانسانية بتمامها ، وجدته مهضوم الحق ، خافت الصوت ، لم ينصفه الادب حق الانصاف ، ولم يعرف منزلته الادباء .

لقد كان هذا الرجل الاعمى بصيرا أكثر البصائر تفتحا أمام مسائل الكون والحياة . ويكفيه شرفا أنه أول من أعرض في أدبه عن أن يتخذ الادب متاعا كاذبا لتحقيق غاية زائلة .

ومذ تسامى بروحه عن أعراض الحياة وأشكالها الكاذبة ، أطل على عالم مضطرب معوج أراد تقويمه ، وحقائق محجوبة أراد كشفها !

لقد كان أبو العلاء شاعر العقل والنفس ، وان لم يكن شاعر الصور والاخيلة ، شاعر الحقيقة التي كرس حياته لجلائها ، لا شاعر المدح والهجاء . شاعر الذات التي كانت تبحث عن نفسها وعن غيرها في الحياة ، لا شاعر الذات التي لا تتقمص الا ذاتها .

ترك لنا أبو العلاء – فيما ترك – ديوانين : الاول – سقط الزند الذي نظمه في شبابه ، ولم يكن الا صدى لاصوات سابقة ، ومحاكاة لمعان لا يضيرنا ان كانت أو لم تكن ، والثاني – لزوم ما لا يلزم ، وهو الديوان الذي لا مثيل له في ديوان العرب ، بمعانيه الطريقة التي طرقها ، وأسلوبه الذي اصطنعه .

ومن العجب أن نرى الديوان الاول قد شغل الادباء ، والشراح في الماضي ، حتى كان له أكثر من شرح واحد ، بينما أهملوا الديوان الثاني ، وتركوه بطلاسمه المبهمة ، دون أن يهتموا بما فيه من حياة .

ولذلك ، لا بد لنا ، من أن نتساءل :

لماذا أحجم القدماء عن شرحه ، والاعتناء به كما اعتنوا بسقط الزند ؟

ألأنه غير جدير بالمطالعة والشرح ؟ أم لانهم لم يأتلفوا مع أغراضه الجديدة ؟ أم لانهم لم يستطيعوا اللحاق بغاياته ؟ أم لانه كان عسير الفهم على الافهام ؟ عسير الشرح على الشراح ؟

أسئلة كثيرة نطرحها ولا نلقى جوابا صريحا شافيا ، وفي الحق أن هذه الاسئلة كلها ترد في هذا المجال !

لا شك أن أبا العلاء نهج في ديوانه « لزوم ما لا يلزم» نهجا جديدا يختلف عن أي نهج في السابق واللاحق .

أما من حيث موضوعاته فقد تنكب فيه أغراض القدماء ، من مدح ورثاء ، ووصف وهجاء ، واتخذ الحياة والمجتمع غايته في ديوانه ، ولئن كان لبعض الشعراء نصيب ما من هذه الموضوعات فهو نصيب ضئيل لا يكاد ينهض لما كابده أبو العلاء وعاناه في ما أتى به!

فهل ، يا ترى ، أطلق أبو العلاء على ديوانه اسم « لزوم ما لا يلزم » اشارة منه الى هذه المعاني التي التزمها هو ، ولم يلتزمها الشعراء قبله ؟ على أن النقاد، وأبا العلاء نفسه يذهبون في هذه التسمية الى ناحية الشكل الذي قيد به أبو العلاء نفسه ، وهي قيود أضيق من القيود التي اصطلح عليها الشعراء عادة في قوافيهم. ولا ندري سببا وجيها لتمسك أبي العلاء بهذه القيود في موضوعات دقيقة ، تتطلب السماحة في الشكل ، لتقوم بحمل أعباء المعاني ، أكثر مما تتطلب التشدد . وبذلك جمع على نفسه مختارا بين عمق المعاني وضيق القوافي .

وبعض النقاد يذهب الى أن أبا العلاء أراد أن يتسامى بمعانيه عن القارىء العادي ، الذي لابد أن تأخذه الدهشة من هذه الجرأة ، وهذا التمرد على الافكار الموروثة ، خشية أن يستثير النقمة عليه ... ولكن أكثر أفكاره تمردا جاءت على صورة واضحة لا تخفى عن القارىء البسيط .

ولكن هذا لا يمنع أن تكون « اللزوميات » ديوانا صعبا ، عسير المنال ، لما اشتبك فيه من معلومات واسعة، وثقافة معقدة ، وغايات متباينة .

ولذلك ظلت اللزوميات ديوانا وعرا ، غريبا في سربه ، لا يقبل عليه الا صفوة الخاصة ، ولا يطرب له الا ذو عقل جبار متفتح ، يستطيع أن ينفذ من أشواكه اللاذعة الى وردته المنفتحة على عالم يختلج بأسمى الافكار والعواطف .

واللزوميات التي أهملها الشراح ، ونأى عنها الادباء ، هي في الحق مجلى فلسفة أبي العلاء ، ومرآة وجهه الحقيقي في حياته وتفكيره ... وقلما يقع الخاطر على ديوان شعر اتخذ الفكر مطيته ، أن يكون بمنزلة الاعترافات الذاتية التي تروي لنا سيرة مفكر عبقري ، وتسجل مراحل تفكيره ، وخواطره المتمزقة التي تذهب بعناد نحو اكتشاف الحقيقة !

ولعل « أمين الريحاني » أول أديب عربي أدرك قيمة اللزوميات ، وتعاطف فكره مع فكر صاحبها ، وآنس فيه نغمة الخيام في رباعياته ، وان اختلفت النغمتان صورة وغاية ، فاختار من اللزوميات ما يحرك الضمائر ، ويلهم العقول ، وترجم ما اختاروه الى رباعيات باللغة الانجليزية ، على طريقة رباعيات الخيام ولا ريب أن غايته الاولى كانت متجهة الى أدباء الغرب ، والمستشرقين منهم الذين عنوا بجمع دواوين العرب وتحقيقها ونشرها . ليدلهم على ما أهملوه في دراساتهم، كما أهمله العرب في عقر ديارهم . وهو يؤمن بأن أبا العلاء كان أصدق شعراء العرب نغمة ، وأكثرهم التزاما بالروح الانسانية .

ولكن هذا كله لا يكفي للوفاء بما علينا من دين لابي العلاء !

وتلك هي اللجنة التي احتفلت – منذ أعوام – بالعيد الالفي لابي العلاء ، وأخرجت بعض آثاره اخراجا حسنا متقنا : مالت ميلا خاطئا نحو احياء أثر عادي من آثاره ، كسقط الزند – وأعرضت عن تراث ضخم ، قيم كاللزوميات ، هو – في الحق – مأثرة مآثر أبي العلاء .

وكأني بالدكتور طه حسين الذي عاش مع أبي العلاء كثيرا ، وأكب على دراسته طويلا ، في مطلع تفتحه الادبي ، أدرك هذا النقص ، فأحب أن يترجم لزوميات أبي العلاء الى لغة عربية سهلة ، تمكن القراء من التمتع بهذا الاثر العصي ، فأعطانا « صوت أبي العلاء » ثم الجزء الاول من شرح « لزوم ما لا يلزم » نشرا طيعا واضحا ، متأنقا . ولكن العمل توقف فجاة ، وعادت اللزوميات الى ما يحيط بها من غموض .

وليس لنا أن نلوم طه حسين على هذا التوقف ، ولا أن نحضه على انجاز ما بدأ به ، لان شرح اللزوميات في رأيي ، أكبر من أن ينهض به رجل واحد ، مهما أوتي من سعة العلم ، وروعة البيان ، لان اللزوميات ، في الحق ، تشبه معلمة كبرى قدمها ذو عقل جبار ، لكثرة ما اشتبك فيها من أغراض شتى ، تتصل بمعارف ذلك العصر وعلومه ، وأدبه و سياسته ومجتمعه ، وفلسفته ولغته ، وفلكه ونوازعه الدينية والمذهبية .

وما دام الامر كذلك ، وما دام شرح اللزوميات بات أمرا لا مفر منه اذا شئنا تقييم فلسفة أبي العلاء تقييما صحيحا ، فان ذلك يحتاج الى فئة من الشراح مختلفي الثقافة ، مطلعين أحسن اطلاع على الثقافة العربية ، المنقولة والموضوعة ، ليقدروا على الالمام بشرحها ، وتفسير وجوهها ، وتوضيح أفكارها ، لان أبا العلاء لم يكن الا ابن ذلك العصر الذهبي الذي وصلت فيه الثقافة العربية الى أعلى قمة من قممها ... حيث امتزج العقل اليوناني والهندي والفارسي ، ونضج المنطق العربي ، وتجسدت الفلسفة العربية ، فكان من ذلك كله مزيج انعكست فيه الحضارة الانسانية !

وفي اللزوميات أشياء كثيرة هي غير الصنعة اللغوية ، يترنح فيها العقل اليوناني ، وينعكس فيها المذهب الهندي ، وفيها اشارات الى الاديان والمذاهب والعلوم على اختلافها ... فلا الاديب وحده يستطيع أن يفهمها ، ولا العالم وحده يقدر أن يكشفها ، وانما ما يجب هو أن تتضافر الجهود الادبية واللغوية والعلمية لتفسير ما جاء في اللزوميات ، فالاديب واجبه أن ييسر الصناعة المعقدة لان أبا العلاء ، بقدر ما كانت حياته بسيطة ، كانت صناعته معقدة . والفيلسوف همه أن يجلو الخطرات الفلسفية ، وعالم الدين أن يكشف عن الاسرار الدينية ، والعالم أن يتقصى المؤثرات العلمية في علم التشريح والفلك . وبتضافر هذه الجهود يتيسر شرح اللزوميات !

وانه لعمل جليل لا يعد القعود عنه الا تقصيرا ، ويقينا لو أن المعري في الاحياء لكان أجدر الناس بجائزة « نوبل » للسلام ، لانه أول من فكر في ضرورة السلام والعدالة الاجتماعية ، وتحرير العقل من ربقة الاوهام، وبناء مجتمع تتحقق فيه المساواة ، فكان بذلك سابق عصره !

وبدون ذلك ، لن يدخل المعري في عداد الذين أنصفناهم من شعراء وأدباء ، وهم دونه تفكيرا وشعورا ... وستظل هامته تصيح ، حتى يخرج ديوانه اللزوميات مشروحا كما يجب .

هذه دعوة الى رجال الفكر والادب ، في دنيا العرب ، فهل يقدمون على ذلك ، ومتى ؟

خليل هنداوي



الامارات العربية المتحدة

ابراهيم حريب

لقد انتابني شعور غريب عندما هممت بالكتابة عن الخليج العربي ، احسست به في البدء ، واحسست به عندما رسمت منهجي ٠ ثم عندما اردت الكتابة عن دولة الامارات العربية المتحدة ٠ ولست ادري بمصدر هذا الشعور الغريب هل كان مصدره انني لم ازر هذه المنطقةمن بلادي، لاتعرف عليها ، واسبر غور الحياة فيها ٠٠ وادرك الحالات النفسية والفكرية التي تبرز في رحابها ؟ ٠٠ام مصدره انني تعرفت عليها من خلال قراءاتي التي قد لا تعطي الصورة الصحيحة عما يجول في ساحاتها ام مصدره تلكالتناقضات التي برزت في منطقة الخليج العربي كلها عندما تم التحول السياسي والاقتصادي والثقافي فأصبح ظاهرة من حقها أن تدرس بعمق ووعي ام مصدره خشية من عدم القدرة على اعطاء صورة كاملة واضحة للقارىء العربي ؟ ٠٠ لست ادري ٠٠ أكانت تلك الاسباب كلها مصدر هذا الشعور الغريب ، ام مصدره واحد منها ٠٠٠ لست أدري ٠٠٠

أ ٠ ح

حقا ٠٠ ان الخليج العربي ، منطقة الاساطير والمعجزات بلاد عاش فيها الانسان العربي في ماضيه القريب ، حياة ، لست ادري بم اصفها ، فيها الفقر وذله ، وفيها الجهل وأوزاره ، قدرة الانسان فيها على تكوين حياة جديدة ، محدودة ضيقة ، فبقي أسير نفسه وعقله ٠٠ وذلك كان في الماضي ٠

مساحات من الاراضي ليس بينهاحدود سماها الاستعمار البريطاني امارات ، وفرض على امرائها وشيوخها معاهدات وحيدة الطرف ، املاها عليهم ، فالتزموا بها ، وما التزم هو ، الا بمقدار ما تحقق له من مصالحه المتعددة ٠

ثمة امارات صغيرة فقيرة لا مورد لها ، حياتها خمول وركود ، وجهل ، ولا مدارس تزيله ، وبداوة تعيش حياة القرون السحيقة بالقدم ، وامارات غنية كثيرة الثراء ٠٠٠ الحياة فيها تتحرك وتتطور ، رواتب تدفع للذين ينشدون العلم في مختلف مراحله ، مدنية تبنى ليرتقي الانسان في مدارج الحضارة الحديثة ٠

هذا هو واقع منطقة تعيش في الثلث الاخير من القرن العشرين ، القرن الذي وطأ فيه الانسان أرض القمر بالوقتالذي لم يستطع فيه انسان آخر أن يطأ قرية قريبة من سكنه ٠٠

منطقة فيها التكامل الاقتصادي وثيق مركز تدعمه ثروة دفينة في أرضها ٠٠ فيها البترول ٠٠ وفيها الحديد والرخام بألوانه العجيبة الرائعة ، فيها الثروة السمكية الهائلة ، تنتظر من يكشف عنها الغطاء ، ويستخرجها ويستثمرها لمصلحة الشعب الذي يعيش حولها وفوقها ٠٠

فيها القوة لرد أي عدوان ، وفيها الضمان القوي للاستقلال والحرية ، ولحياة ناسها واستمرارها بيسر ورخاء ٠٠٠

ليس من شك لدى ، بان الذين يهيمنون على هذه المنطقة ، من أمراء وشيوخ قد فكروا بذلك كله ، وبأكثر

منه. •• وأدركوا بعمق ، ان الوحدة أو الاتحاد في حدودهما الدنيا ، سبيل التعاون ، وان الكيانات الصغيرة، هزيلة ليس لها مكان في هذا العصر الذي تتصارع فيه القوى المختلفة •• ووعوا أن الحضارة الحديثة التي هي ملك العالم كله •• تعطي ثمارها للناس الذين يأخذون بها ويتعلقون بأسبابها ، وينتهجون السبل الواضحة لترسيخها •

هذه الكيانات الصغيرة كونتها نظرة قبلية موروثة ، ساعد الاستعمار البريطاني على ترسيخها ، ليسود •• ولكنها لا تقوى على الاستمرار في عصر يتنازعه الصراع المخيف، والقوى الجبارة، ولا تقدر على المضي نحو الحضارة في عصر نمت فيه وازدهرت وحققت للانسان ، ما لم يكن يتصوره •••

من هذا كله انبثقت فكرة الاتحاد وأخذت سبيلها الى النمو والتأكيد •

عقبات جمة ، وضعها الاستعمار ، قوية ، تتوالى واحدة بعد الاخرى ، لكن لم تحل دون ارادة المؤمنين بشعبهم وأمتهم المخلصين لهما ، والعاملين لخيرهما ••

بدأت مفاوضات بين أمراء وشيوخ الامارات التي كان يسميها الاستعمار البريطاني ، بالمحميات ، لانه كان يحميها اذا ما تعرضت لخطر عليه وعلى مصالحه ، وليس عليها •

وانتهت هذه المفاوضات الى تكوين اتحاد بين امارات تسعة هي « أبو ظبي ، دبي ، قطر ، البحرين ، الشارقة ، أم القويين ، رأس الخيمة ، الفجيرة ، وعجمان » أعلن ميثاقه بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٦٨ متضمنا أهدافه ، بتقوية التعاون بين هذه الامارات في مختلف المجالات ، وتوحيد السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي ، والدفاع الوطني •• وللاتحاد مجلس أعلى مؤلف من جميع حكام الامارات يرسم سياسة عليا للدولة في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

وعقد المجلس اجتماعين يتيمين ، أحدهما بتاريخ ٧/ ١٩٦٨/٧ والآخر بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٦٨ واتخذ في كليهما قرارات هامة لم تر النور ، فقد تجمد بعدهما وضع الاتحاد ، وبدأت المناورات السياسية تلعب دورها ، وبرزت التناقضات عميقة وقد كانت كامنة ، فلم يكن بوسع أحد التغلب عليها أو تجاوزها • بخاصة وان الاستعمار البريطاني ، ما زال جاثما على هذه الامارات كلها •

واستؤنفت المفاوضات، بين حكام الامارات ،واستمرت حينا من الدهر ، تعالج التناقضات ، في محاولة لتجاوزها، والوصول الى الاتفاق على ميثاق جديد أكثر وضوحا وأرسخ موقعا ، وأعمق جذورا مما توصلوا اليه فانقض •

وبعد أربع سنوات من الجهود المضنية ، ومن المفاوضات التي تتيسر حينا وتتعسر أحيانا ، ومن الاجتماعات التي تلتئم لتنفض ومن الدراسات المنسقة ، ولد الاتحاد الجديد •

ففي اليوم الاول من كانون الاول ١٩٧١ أعلن المعتمد البريطاني (جيو فري ارثر) الغاء جميع المعاهدات التي فرضتها بريطانيا على أمراء وشيوخ الخليج العربي في عام ١٨٢٠ وما بعدها ، وفي اليوم الثاني اجتمع الامراء والشوخ في قصر الجميرة في دبي ، وبغياب حاكم رأس الخيمة ، وأعلنوا (دولة الامارات العربية المتحدة) مؤلفة من ستة امارات هي : (أبو ظبي ، دبي الشارقة ، رأس الخيمة ، أم القويين وعجمان) ولم تنضم اليها قطر والبحرين •

لدولة الاتحاد مجلس أعلى مؤلف من جميع حكام الامارات ، ولها مجلس وزاري قومي مؤلف من ثمانية عشر وزيرا ، يمثلون الامارات الستة ، ولهذين المجلسين سلطة على جميع اراضي الدولة ، بالوقت الذي تمارس فيه مجالس وزراء أو دوائر وزارية ، سلطات محلية في كل امارة • ونص البيان على تكوين قوات مسلحة جوية وبرية وبحرية موحدة الاهداف والغايات ، وتجمعت في هذه الدولة كيانات كانت ضعيفة هزيلة في كيان واحد قوي يستطيع الثبات والصمود أمام التحديات والاستفزازات القائمة أو التي ستبرز في المستقبل •

وظلت قلوب الناس واجفة خائفة ، خشية على هذه التجربة الرائدة من الفشل ، ومن عدم قدرتها على الصمود والبقاء والوقوف بوجه المؤامرات التي تحاك لها في الظلام بخاصة وان تجربة سبقتها قد فشلت •

لقد كان أو تحد واجهته هذه الدولة الفتية بعد مولدها بشهور من ايران التي احتلت جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى ونصف جزيرة أبو موسى •

يبدو للمراقب السياسي ، ان التناقضات التي اودت باتحاد امارات الدول العربية ، بعيد قيامه في عام ١٩٦٨، كانت احد أسباب قيام دولة الاتحاد في اواخر عام ١٩٧١ ، مع اختلاف جوهري واضح ففي الاتحاد السابق برزت عندما بدء في وضع دستور موقع التنفيذ ، لم يستطيع أحد التغلب

عليها ، اما في دولة الاتحاد الجديدة ، ماهي الا محاولة ، هادفة للتغلب على جميع العوامل والتناقضات وزحزحتها من طريقه ، بعد ان عرفت جذورها ، وادركت ابعادها ووضعت الحلول العلمية الجذرية من اجل خلق مجتمع سليم وتحقيق حياة جديدة في دولة قوية حديثة ، تنتقل بعدها من دولة اتحاد الى دولة وحدة ، متفاعلة مع احداث الوطن العربي وتطلعاته ونموه وازدهاره .

ولا نظن بان هذه التناقضات في تعليم واجتماع وسياسة واقتصاد ، قد امحت كلها خلال خمس سنوات من قيام الدولة ، او ان الامور فيها قد اصبحت تسير وفق ما خطط لها ، او ما رسم لها من هدف . فالزمن قصير والمشاكل عميقة الجذور متعددة الجوانب ، منها ما هو داخلي نابع من نفس الانسان ومنها ما هو خارجي ، فرضته الاحداث وخلقه المشككون ، وهيأت له القوى الاستعمارية سبل الرسوخ وطرق التعدد ووسائل النمو ، ولكن ، وبرغم هذا كله ، فقد تم التغلب على كثير منها ، وتخطي الكثير الاخر ، لكن الطريق لم يكن مفروشا بالزهور والرياحين .

لقد كانت الحياة الاجتماعية ، في دولة الامارات ، قبل اكتشاف البترول ، بدائية متخلفة تتحكم العادات والتقاليد المورثة من اجيال سابقة ، في سلوك الانسان وسلوب الحكم ، الذين تنعكس اثار احدهما على الاخر يعمق ، ومن هذا التأثير والتفاعل بينهما ـ سلوك الانسان

واسلوب الحكم . تكون المجتمع المتخلف الغارق في جهله ، وقد ساعد الاستعمار البريطاني ، بكل أثقاله وأوزاره ،على ترسيخ هذا التخلف ، ليس هذا فحسب ، وانما أبعد هذا المجتمع عن الالتقاء مع المجتمع العربي والتفاعل معه .

وحتى بعد اكتشاف البترول في أمارات ، انتعشت به ، وأمارات أخرى لم يظهر فيها ، ظلت ترسف بأغلالها السياسية والاجتماعية **والاقتصادية** .

واذا كان للبترول من نعمة تمتع بها أناس وغرقوا بالنعيم المادي ، فانه خلق فوارق بعيدة بين ناس امارات نبع فيها ، وبين ناس أخرى ، لم يتح لهم حظ منه .

فروق في طراز حياة ناس يحيون في قصور باذخة، ينعمون بأطايب عيش ويتخمون ، وآخرين في أكواخ تلعب فيها الارواح .. لا تقيم من سموم لاهب ، ولا من يرد لاسع ، لا يجدون الا ما طفقته لهم الحياة ، تطفيف يخس يزيد في سغبهم ولا يلقون ما يبلون به حلوقهم الا ملح اجاجا يزيد في لغيهم .

ولعل هذه الفروق نتجت عن تفاوت في الدخل كبير،

فلئن كان الدخل القومي للفرد الواحد ، بالنسبة للدخل العام وعدد السكان ، يضاهي دخل أي فرد اخر في كثير من الدول المتقدمة ، فانه لم يحل مشكلة قائمة ، ولم يحقق توازنا ، ففي هذا الدخل وفر ، وفيه سوء توزيع أيضا ، لا يزول الا بخطة لتنمية اجتماعية ولتنمية اقتصادية شاملتين ، بحيث يسيران معا ، لا تتغلب احداهما على حساب الاخرى .

فالبناء الاجتماعي في دولة الامارات مؤلف من أناس أميين في أغلبيتهم ، ليس من بينهم الا قليلا من الفنيين والحرفيين الذين ، يستطيعون النهوض والعطاء ، والطبقة التجارية غير قادرة على انماء الصناعة ، وازدهار الاقتصاد المركز الهادف ، الا بالقدر الذي يحقق لها مكاسبها والطبقة العاملة غير مهياة فنيا وعلميا لتاخذ مكانها في التنمية ، والطبقة الفلاحية ، تعمل في أراضي ضيقة ، انتاجها قليل ، لان الماء فيها شحيح وهي أيضا غير قادرة على العطاء الجيد .

والاقتصاد يعتمد على مورد وحيد ، قد ينضب في ذات يوم ، ولا بد له أن ينهار ، مهما كانت ركائزه وفيرة متينة ، تحت تأثير التطور الحضاري ، وحاجات المدينة المتزايدة .

وفي دولة الامارات نشأت فكرتان للتنمية الاقتصادية تلح احداهما على الاخرى .

الاولى تدعو الى التنظيم المحلي ، بحيث تخطط وتبني كل امارة خطتها الانمائية ، وهذه الفكرة خطرة على ارادة توحيد المجتمع كله ، وقد تكون عاملا في بروز تناقضات جديدة ، وفي ظهور حواجز بين هذه الامارات .

أما الفكرة الثانية ، فهي تدعو الى الوحدة في التنظيم ووضع الخطة وتنفيذها ، وهذه الفكرة هي الاشد والاقوى والاجدر بالاخذ والتنفيذ في دولة لا يتجاوز عدد سكانها أربعمائة ألف نسمة .

ذلك لان التنمية الاقتصادية بعلاقاتها المتينة مع التنمية الاجتماعية ، لا بد لها من خطط سليمة بعد دراسات واسعة شاملة واعية للواقع الاقتصادي والاجتماعي في دولة الاتحاد كلها ، وللمعطيات الجديدة التي يتطلع اليها الانسان الذي نال نصيبه من التخلف ، ويريد أن ينال حظه من المدنية والحضارة .

ويعقب هذه الدراسات ، تنفيذ واشراف مركزيين، في مختلف المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية ، وليس من المفيد أن تتولى كل أمارة معالجة مشاكلها بمعزل عن مشاكل شقيقاتها ، ما دامت هذه المشاكل متشابهة ، وقد يتقارب الشبه ويتباعد قليلا . وعندئذ **يتحقق التكامل** الاقتصادي الذي يرتكز على أسس أخرى ثابتة غزيرة الانتاج

غير البترول الذي قد ينضب ، وقد تتأثر أسعاره بالعوامل السياسية والاقتصادية العالمية ففي البلاد منابع ثروة ، تحتاج الى استكشاف واستثمار ، في بعضها معادن أخرى وفي بعضها اراضي للزراعة ، ولديها ثروة سمكية هائلة ، فضلا عن المجال الصناعي الواسع ، الذي اذا ما انصرفت اليه الاذهان بوعي قد يحقق الاكتفاء الذاتي لكل الامارات المتحدة في مرحلة ، تليها مرحلة التصدير ٠

ولعله من الاهمية بمكان كبير ، أن تدرس خطة التنمية ، وتنفذ ، لكن الاهم من ذلك ، هو ادراك المشاكل التي قد تعترض سبيل الخطة وتنفيذها ، وان الخطة التي نراها قد وضعت أمام المسؤولين ، ليست بمنأى عن المشاكل الحادة ، والعبرة في القدرة على تخطي هذه المشاكل ، لا في بروزها ٠

فضلا عن المشاكل التي أوضحناها هنا فان مشكلتين أساسيتين ، قد تعوقان مسيرة التنمية ، في وضعها الحاضر ٠

الاولى ، ضيق السوق المحلية ، عن استيعاب الانتاج الصناعي من مصانع أنشئت أو قد تنشأ ، وهذا بسبب عبئا ثقيلا على الاقتصاد الوطني ، وقد يحول دون تنويعه ، يضاف الى ذلك القوة الشرائية للسلع الاستهلاكية ، وما يتبعها من تبذير

الثانية ، النقض الظاهر في العناصر البشرية المحلية ، والقادرة على السير بخطة التنمية الصناعية الى هدفها المرسوم ٠

ولعل أهم عامل بتخطي المشاكل كلها ، هو ايجاد مناخ قوي من التعاون المستمر الخلاق ، بين الامارات نفسها ، وبينها وبين منطقة الخليج ككل ثم بينها وبين الدول العربية

ولن يتم هذا الا بوضع استراتيجية متطورة ، تأخذ في مفهومها وفي حسابها ، اتساع السوق العالمية ، وضخامة الحجم الاقتصادي للواحدات الانتاجية وحاجتها الى سوق محلية واخرى عالمية ، مع الارتباط الكلي في السوق العربية المشتركة ٠

ان الانظمة السياسية في الخليج كله ، متشابهة الى حد كبير ، والشعب العربي فيها متجانس يشده الى بعضه بعضا رباط من قومية ودين ولغة وهدف ، ولهذا فان مقومات الارتباط المكاني والاقليمي في دول الخليج متوفرة ومتينة ومن هنا يمكن النظر بعمق الى انشاء سوق خليجية او تعاون او تعاون اقتصادي اقليمي مرتبط بالسوق العربية المشتركة والوحدة الاقتصادية العربية

وعلى الصعيد العربي الكامل فان المال المتوفر والفائض من الحاجة في دولة الامارات أو غيرها ، يمكن استثماره في مشروعات انمائية عربية ، تحتاج الى رؤوس اموال ، وبالوقت الذي يجب ان تحاول خطة التنمية في دولة الامارات رفدها بعناصر فنية وخبرات قوية ، غير متوفرة لديها ، الى ان تصبح قادرة على سد حاجتها منهم ٠

ان التنمية الاقتصادية ضرورة لايحق لاحد ان يتجاوز . والتصنيع الذي ترتكز عليه الخطة ، وتهدف اليه ، واستطلاح الاراضي الزراعية ضرورة ايضا ٠

والتعليم من أهم ضرورات حياة الانسان ، وكذلك رعاية الصحة العامة والتأمين الاجتماعي ٠

وبناء المساكن لتبديل المواطنين مساكنهم ، بمساكن حديثة تتلائم وحاجات الانسان والعصر ٠ امينة يتطلع اليها الجميع

كل ذلك اخذت به دولة الامارات العربية المتحدة ، سواء في مجالها العام ، أو في مجالها الاقليمي في كل امارة

لكن الامر الذي هو اشد حاجة للرعاية والانتباه ٠٠ هو الانسان وعقله ونفسه ٠

الانسان الذي بدونه لاتحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ٠

واذا ما تعلم الانسان وامتلأ عقله بمعلومات عامة ، واذا ما تأمن له سكن صحي ، فان ذلك لايكفي ، وتبديل ظاهر حياته ، ليست بذات بال ، ولا اهمية لها ، لكن المهم تبديل عقليته ونفسيته بما ينسجم مع التطور الحضاري ، ويتفاعل بهما بقوة بالغة مع المعطيات الجديدة ، وليس المهم ان يوضع في مناخ حضاري ومدني جديد عليه ، وانما الاهم ، ان يكون الانسان نفسه حضاريا بروحه وعقله ، مدنيا بسلوكه ومسيرته ٠

ان عقل الانسان هو الذي صنع المدينة وخلق الحضارة وهمابالوقت نفسه ، خلقا عقل الانسان وكونا نفسيته ٠٠ ذلك كان في البدء وسيبقى مستمرا مادامت الحياة مستمرة٠

فالانسان العربي بعامة ، والخليجي بخاصة بحاجة الى تبديل جذري في عقليته ونفسيته ، اللتين ظلتا ردحا من الزمن تنوءان برواسب خلقها هو نفسه ، وغرسها فيه مجتمعه ، ورسخها الاستعمار ٠

الرؤية الصحيحة لمستقبل صحيح يتناسب مع تطلعات الانسان العربي ، في كل اقطاره ، الى الاتحاد والوحدة ، ويرسخ فكره القومي والاجتماعي والسياسي ، انما يبدأ ، ذلك كله من الطفل بعقله الجديد الغض وبنفسيته الصافية المهيأة لتقبل كل شيء

ومن مرافقة هذا الطفل ومراقبته في جميع مراحل حياته وتعليمه ، وتوجيهه الوجهة السليمة ٠

من هذا الطفل الصغير ٠٠ يخلق مجتمع جديد خلاق متطور ، يتفاعل حضاريا ومدنيا مع قومه وامته والانسانية كلها ، ويمنحها الخير والعطاء ٠٠ وتتخطى به كل الحواجز والسدود القائمة والتي ستقام انه يتمتع بالرؤية الصادقة الواضحة ٠ انه خالق الحضارة ، وليس بالخبز وحده يعيش الانسان ٠

الشمشاطي

وكتابه: الانوار ومحاسن الاشعار

د. السيد محمد يوسف

هو أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي ، من عدي بن تغلب ، المعروف بالشمشاطي ، أصله من شمشاط من بلاد ارمينية من الثغور ، كان يعلم أبا تغلب [فضل الله الملقب « عدة الدولة المعروف بالغضنفر] ابن ناصر الدولة وأخاه ثم نادمهما ، يقول عنه أبو العباس النجاشي (٣٧٢ ــ ٤٥٠ هـ) : « كان شيخنا بالجزيرة وفاضل أهل زمانه وأديبهم ، وكان سلامة بن دكا أبو الخير الموصلي ، الذي اعتمد عليه النجاشي ، يذكره بالفضل والعلم والدين والتحقق بهذا الامر » . وما من شك أن الغلو في التشيع سمة تبدو في أسلوبه أثناء كتاب الانوار الذي بأيدينا ، وفي عناوين بعض كتبه الاخرى التي سنسردها فيما بعد ، وقد صرح ياقوت في معجم الادباء بأنه كان « رافضيا دجالا يأتي في كتبه بالاعاجيب من أحاديثهم» ــ هذا ولعل ابن النديم يلمح الي بعض مغامز في سيرته حيثما يقول : « قد كنت أعرفه قديما ، وقد قيل انه ترك كثيرا من أخلاقه عند علو سنه ، ويحيا في عصرنا هذا (سنة ٣٧٧ هـ/٩٨٧ م (» وفي جزء من تاريخ بغداد لابن النجار (رقم ٢١٣١ خزانة باريس ص ٣٤) أنه : « كان شاعر أيمدح الملوك ، أصله من الموصل ، سكن بغداد ودخل واسط سنة أربع وتسعين وثلثمائة » . ومع الاسف لم نعرف من شعره غير ما أورده هو في كتاب الانوار هذا ، الا بعض أبيات في اليتيمة ١٤٩/٢ ، وحماسة ابن الشجري ٢٣٨ ، ومعجم الادباء لياقوت، نقلا عن التنزه والابتهاج له. لم يكن الشمشاطي شاعرا فحسب ، بل « مصنفا مؤلفا مليح الحفظ كثير الرواية » أيضا كما يشهد ابن النديم بذلك مع الاحتراز بقوله ان « فيه تزيدا » . وقد توفرت في تضاعيف كتاب الانوار أدلة على صلاته العلمية والادبية وعلو كعبة في الاخذ والرواية عن أعلام عصره ، فهو يروي عن ابن دريد « المتوفي عام ٣٢١ هـ) ، والصولي (المتوفي عام ٣٣٥ أو ٣٣٦) ، وأبي الحسن علي بن سليمان الاخفش (المتوفي ٣١٥ هـ) وعلي بن الصباح وراق أبي محلم وأبي الحسن علي بن هارون المنجم ابن علي بن يحيى أبي المنصور (٢٧٦ ــ ٣٥٢ هـ) وأحمد بن جعفر بن أبي العيناء محمد بن القاسم عن جده عن الاصمعي وابراهيم بن محمد عن أحمد بن يحيى ثعلب (٢٠٠ ــ ٢٩٠ هـ) عن ابن الاعرابي ، وأبي القاسم علي بن الحسين ابن جعفر العلوي ــ ترى من هو ان لم يكن الشريف المرتضي (٣٥٥ ــ ٤٣٦ هـ) مع ملاحظة أن الشمشاطي اعتاد التسمية بغير اللقب المشهور كما سيجيء فيما بعد ــ وأبي طالب الحسين بن علي الانطاكي ، ص ١٢٥/أ الشاعر الذي ربما رافق أبا القاسم العلوي وآنسه بشعره ، وأبي الحسين أحمد بن جعفر جحظه (٢٢٤ ــ ٣٢٤ أو ٣٢٦ هـ) وأبي الحسين الحراني ومحمد بن صدقة .

مؤلفاته (ما عدا كتاب الانوار هذا) ق

١ ــ الادب :

١ ــ كتاب التنزه والابتهاج ــ قال سلامة بن

دكا انه نحو ألفين وخمسمائة ورقة ، يحتوي على آداب وأخبار ، كذلك قال ياقوت انه مجموع يتضمن غرائب الاخبار ومحاسن الاشعار كالامالي ، وعنه أورد السيوطي في الاشباه والنظائر في النحو (حيدر آباد ، ١٣١٧ هـ ، ١٣٣/٤ وما بعدها) « مخاطبة جرت بين أبي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج ، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب في مواضع أنكرها وغلطه فيها من كتاب فصيح الكلام» كما نقل عنه ياقوت أيضا في معجم الادباء خبر هذه المخاطبة وبعض أخبار أخرى عما جرى للشمشاطي من مساجلات في مجلس أبي تغلب بن ناصر الدولة ، وأبي عدنان محمد بن نصر بن حمدان .

٢ ـ كتاب الاديرة والاعمار ، في البلدان والاقطار ـ قال سلامة بن دكا : هو أكبر كتاب عمل في الموضوع ، ذكر فيه بضعة وثلاثين ديرا وعمرا ، وقد نبه البحاثة حبيب زيات على أن في بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم عدة مطالعات فيه وروايات عنه ، لم نجدها في غيره من كتب الديارات (كذا في مقدمة الديارات للشابشتي ص ٤٢ منقولا عن الديارات النصرانية، بيروت ،١٩٣٨م) .

٣ ـ كتاب الانوار والثمار ـ قال سلامة بن دكا انه ألفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ما قيل في الانوار والثمار من الشعر .

٤ ـ كتاب شرح الحماسة الاولى التي عملها أبو تمام لعبد الله بن طاهر (« الحماسة الاولى » تمييزا لها من الحماسة الثانية أو الحماسة الصغرى المعروفة بالوحشيات ـ تحقيق شيخنا الميمني ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م) قال سلامة بن دكا : وهي سبعة آلاف وأربعمائة وسبعون بيتا ، شرح أخبارها واستدرك ما فرط فيه أبو رياش

(أحمد بن ابراهيم الشيباني المتوفي ٤٤٩ هـ ، أول شارح للحماسة فيما نعلم) نحو ألف ورقة ، ومن الملاحظ أن الشمشاطي أورد في كتاب الانوار هذا (ص ١٥/ب و١٦/أ) قطعة منسوبة الى حنيفة بن حنى منقولة عن الحماسة وقد خلت الحماسة التي بأيدينا من القطعة ومن اسم الشاعر الذي نسبت اليه .

٥ ـ كتاب أخبار أبي تمام والمختار من شعره .

٦ ـ كتاب فضل أبي نواس [« تفضيل أبي نواس على أبي تمام » ـ ياقوت] والرد على الطاعن في شعره ، فيه أخبار أبي نواس والمختار من شعره ، والانتصار له والكلام على محاسنه .

٧ ـ رسالة نقد شعرأبي نضلة الناميوالحكم بينهما .

٨ ـ رسالة تتعلق بأبي نضلة .

٩ ـ رسالة التنبيه على ما أخطأ الاعمى فيه .

١٠ ـ عمل شعر ديك الجن وصنعه .

١١ ـ رسالة في الشعر .

١٢ ـ رسائل الى سيف الدولة .

١٣ كتاب القلم ، وجود في تأليفه .

ولنضف اليها مؤلفين ذكرهما الشمشاطي في كتاب الانوار وهما :

١٤ ـ أبيات المعاني .

١٥ ـ رسالة في مقصورة سعيد بن صدقة الهاشمي .

ب ـ اللغة :

١٦ ـ عمل كتاب العين للخليل بن أحمد فذكر المستعمل وألقى [ألغى ؟] المهمل والشواهد والتكرار وزاد على ما في الكتب .

١٧ ـ كتاب المثلث [الصحيح] في اللغة على حروف المعجم .

١٨ ـ كتاب ما تشابهت معانيه [مبانيه ؟] وتخالفت معانيه في اللغة .

١٩ ـ كتاب المقصور والممدود .

٢٠ ـ كتاب المذكر والمؤنث .

٢١ ـ كتاب غريب القرآن .

ج ـ النحو :

٢٢ ـ كتاب المجرى في النحو .

٢٣ ـ رسالة في الرد على من خطأ أبا سعيد السيرافي، وفيها فوائد في النحو .

د ـ التاريخ :

٢٤ ـ مختصر تاريخ الطبري ـ حذف الاسانيد والتكرار وزاد عليه من سنة ٣٠٣ الى وقته ، قال سلامة بن دكا : فجاء نحو ثلاثة آلاف ورقة .

٢٥ ـ تمم كتاب الموصل لابي زكريا يزيد بن محمد ابن اياس بن القاسم الازدي المتوفي سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م (نشره الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ، ١٩٦٧ م) وكان

(١) « النزه » في بعض المصادر .

(٢) عمر لفظة سريانية بمعنى البيت والمنزل ج اعمار .

فيه الى سنة ٣٢١ هـ فعمل فيه من أول سنة ٣٢٢ هـ الى وقته فدخلت فيه زيادة كثيرة .

هـ ـ الانساب :

٢٦ ـ كتاب نسب ولد معد بن عدنان ولمع من أخبارهم وأيامهم .

و ـ مذهب الشيعة والانتصار له :

٢٧ ـ كتاب مختصر فقه أهل البيت عليهم السلام .
٢٨ ـ كتاب رسالة البرهان في النص الجلي على أمير المؤمنين عليه السلام .

٢٩ ـ الرسالة الكاشفة عن خطأ العصبة المخالفة .
٣٠ ـ رسالة المعاتبة ورسالة الانتصاف من ذوي البغي والافتراق .

٣١ ـ رسالة في كشف تمويه حليف الكذب ، وما افترق من سن (كذا) في الاشعار والنسب .
٣٢ ـ الرسالة الجامعية وهي الفاضحة .

ز ـ أشتات :

٣٣ ـ رسالة جواب مسألة سئل عنها .
٣٤ ـ رسالة في الذمي قابل الجميل بالقبيح .
٣٥ ـ رسالة البيان ، عما نوه به الخالديان .
٣٦ ـ رسالة الايضاح، عما أتيا به من الافك الصراح
٣٧ ـ كتاب الواضح .
٣٨ ـ كتاب الموثق .

هذا وقد رأى أبو العباس النجاشي كتبا زائدة على هذه الكتب في فهرست كتب الشمشاطي بخط أبي نضر بن ريان الا أنه لم يثبت غير ما وثقه سلامة بن دكا منها .

انما تأكدنا من أن الشمشاطي كان حيا في ٣٧٧ هـ يعاصر ابن النديم ، وأنه سكن بغداد ودخل واسط سنة ٣٩٤ هـ وربما صاحب الشريف المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) كما يلاحظ أنه يروي عن الصولي (المتوفي ٣٣٥ أو ٣٣٦هـ) وجحظه (المتوفي ٣٢٦ هـ) وابن دريد (المتوفي ٣٢١ هـ) وأبي الحسن الاخفش (المتوفي ٣١٥ هـ) .

على هذا لا نبعد عن الصواب اذا قلنا انه عاش طيلة القرن الرابع الهجري تقريبا وكان على صلة وثيقة بسيف الدولة ، فانه تولى جمع مختارات الاشعار التي أنشدت في مدح الامير الحمداني وكتب اليه رسائل عدة جمعت في كتاب كما مر (رقم ١٢) وذكر ياقوت أبياتا للامير في شأن الشمشاطي ان دلت على شيء فعلى رفع الكلفة بينهما .

ويدل عنوان رسالتين (رقم ٣٥ و ٣٦) للشمشاطي على اتهامه للخالديين بالتمويه والافك الصراح ، مع أنه عرف بتفضيلهما على السري والرفاء (المتوفي ٣٦٢ هـ) مما حمل الشاعر على نظم قصيدة يمدح بها الشمشاطي ويعتبه على انحرافه عنه الى الخالديين [انظر تقديمنا ـ ص (ح) الحاشية رقم ١ و ٢ ـ لكتاب الاشباه والنظائر للخالديين]، على كل حال لاغرابة في محاولته تلك ، على ما يبدو ، للحط من شأن الاخوين اللذين حظيا بمكانة في بلاط سيف الدولة، ومثل هذه المجادلات بل المهاترات ليست غير معهودة بين المعاصرين المتسابقين الى تقدير الامراء ، وقد جارى الشمشاطي الخالديين في ميدان التأليف أيضا ، فقد ألف الخالديان تاريخ الموصل وتبعهما الشمشاطي فألف في الموضوع نفسه بحيث تمم تاريخ الموصل للشيخ أبي زكريا من سنة ٣٢٢ هـ الى وقته ، كما أن للخالدين مؤلفا مثل مؤلف الشمشاطي في الديارات ، هكذا استحكمت روح المفاضلة والمفاخرة بينه وبين الاخوين ، ولا ننس أن الخالدين أيضا أخذا عن ابن دريد وجحظة والصولي في وقت متقارب ، أي في مستهل المائة الرابعة فربما تأصلت المسابقة بينهما وبين الشمشاطي منذ أيام الصبا .

وفي عناوين مؤلفات الشمشاطي دليل على ميوله النقدية ، فانه معجب بأبي نواس مدافع عنه ، وفي كتاب الانوار طائفة كبيرة من شعره في الطرد ـ ذلك الصنف الذي ينوه الشمشاطي باختصاص أبي نواس به ، والشمشاطي مهتم بوجه خاص بالموازنة بين النامي (أبي العباس أحمد ابن محمد الدرامي المصيصي المتوفي ٣٩٩ هـ) وأبي نضلة (مهلهل بن يموت بن المزرع المتوفي بعد ٣٣٤ هـ) وكلاهما معاصران للشمشاطي وقد روى النامي أيضا كالشمشاطي عن الاخفش والصولي (ابن خلكان ١٠٧/١) وفي كتاب الانوار نخبة من شعر النامي مع خلوه من شعر أبي نضلة ألبتة ، فهل لنا أن نستشف منه تعصب الشمشاطي للنامي على أبي نضلة ؟ ثم ان أبا نضلة يهون من شأن أبي نواس ويكشف عن سرقاته مع الاقرار بتفضيله وتقديمه في المشهور من شعره، لا في المنحول الزور (سرقات أبي نواس،

تحقيق محمد مصطفى هدارة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٣٣) بينما الشمشاطي يتصدى للدفاع عنه.

وهناك شاعران آخران أحدهما معروف وهو الاعمى (أبو العباس السائب ابن فروخ) تتبع الشمشاطي أخطاءه ولعل السبب في ذلك انه كان من شعراء بني أمية المعدودين، المقدمين في مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم (غ - الدار - ١٦/٢٩٨) ، وثانيهما سعيد بن صدقة الهاشمي الذي يتهمه الشمشاطي بالسرقة منه ويصارحه العداء في كتاب الانوار - هذا وقد عني الشمشاطي بجمع شعر ديك الجن وصنع ديوانه ، وقد أورد له أبياتا في كتاب الانوار لا توجد في أي مرجع آخر في متناول يدنا .

كتاب الانوار :

أما « كتاب الانوار ومحاسن الاشعار » هذا الذي نحن بصدد احيائه وتقديمه الى العلماء والادباء فقد أبقت الايام على نسخة فريدة له محفوظة بخزانة أحمد الثالث بتركية برقم ٢٣٩٢ وهي في ٢٠٥ ورقة قطعها ٢٦٠ × ١٧٥ مم بخط نسخ مشكول ، طول السطر ١١٠ مم وفي كل صفحة ١٥ سطرا على ورق مصقول نقلها حسن بن يوسف بن عبد الله بن مختار الاربلي « من نسخة ضعيفة النقل والخط كثيرة الخطأ والغلط ، وصحح جهد طاقته وأهمل ما جهل بصحته ومنه ما أبقاه على صورته ، وذلك في محرم سنة ٦٣٩ هـ برسم « خزانة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الانام أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله أمير المؤمنين خلد الله دولته وأتم نعمته » - ومكتوب على يمين صفحة العنوان الى الاسفل « من كتب خليل بن ايبك الصفدي » « ٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) وبأعلى الصفحة ختم الرقفية بالطغراء .

والنسخة جيدة سليمة من العاهات باستثناء آثار الطمس من جري الماء أو تأثير الرطوبة في بعض الصفحات، والكاتب قليل الخطأ معني بالضبط والتمييز بين الاهمال والاعجام في مواضع اللبس .

وتقدر القيمة الادبية لكتاب الانوار بالنظر الى ما انفرد به من الاخبار والاشعار التي خلت منها المصادر المتداولة ، فأولا : يعقد الشمشاطي بابا (الباب الثاني) لاخبار ثلاثين يوما من أيام العرب ، وهي التي ليست بالطويلة ولا المشهورة منها ، والشمشاطي يسرد لنا وقائعها سردا مفصلا متماسكا حافلا بالاشعار ، وهو في ذلك يحافظ غالبا على رواية أبي عبيدة التي لا توجد الا مجزأة مبتورة في المراجع الاخرى . ثم ان كتاب الانوار يمتاز بعرض طائفة كبيرة من شعر الناشىء الاكبر الذي يذكره تارة باسمه عبد الله بن محمد وتارة بلقبيه الشرشير والجدلي ، وتلك عادة له ربما سببت لي متاعب أثناء التحقيق ، فانه كذلك يذكر الصنوبري باسمه أحمد بن محمد الضبي تارة وبالنسبتين الصنوبري والحلبي تارة أخرى ، ويذكر عبد السلام بن رغبان ، ديك الجن ، وأبا نواس الحكمي ، الحسن بن هانىء ، وابن المعتز العباسي، كيف ما اتفق له بدون التزام المشهور من الاسماء والالقاب. ويظهر أن الشمشاطي كثيرا ما يعتمد على الصولي في روايته لشعر المحدثين ، فان رواية الشمشاطي لشعر ابن المعتز توافق تماما رواية الصولي لشعره في الديوان (طبعة استانبول) وفي أشعار أولاد الخلفاء ، وعدا ذلك جمع الصولي أيضا دواوين ابن الرومي وأبي نواس وعلي ابن الجهم وابن طباطبا وابن عيينة والصنوبري ، فلا غرو اذن أن نجد في كتاب الانوار زيادات في شعر هؤلاء ، كما أن فيه نخبة من شعر النامي والحسين بن الضحاك وديك الجن لم يتح لنا الاطلاع عليها من قبل ، كذلك نتعرف بفضل الشمشاطي تعرفا أكثر وضوحا على المريمي (القاسم بن يحيى بن معاوية المتوفي ٣١٦ هـ) وأبي طالب الحسين بن علي الانطاكي وآخرين من المحدثين المعاصرين له ، ولم يخل هذا الكتاب من أبيات نادرة للقدماء أيضا مثل النابغة .

لقد أوجز ابن النديم الوصف بأن كتاب الانوار يجري مجرى الملح والتشبيهات والاوصاف ، وذلك لعمري ايجاز يبخس الكتاب حقه ، فانه كتاب جليل جدير بمكانة مرموقة بين مجاميع الاخبار والاشعار ، ثم قال ان الشمشاطي « عمله قديما ثم زاد فيه بعد ذلك » والنسخة التي بأيدينا كاملة لا يوجد فيها ما ينبىء عن نقص أو خرم الا في الكتاب الماعا الى باب المراثي وهو غير موجود فيها .

لم نعرف من عقب الشمشاطي الا ابنا هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد الشمشاطي ، ذكره الثعالبي في اليتيمة ١/١٠٩ .

وأخيرا أرى من واجبي تقديم أسمى آيات الشكر والولاء لشيخي وأستاذي العلامة عبد العزيز الميمني الذي آزرني وسدد خطاي في تحقيق كتاب الانوار واعداده للنشر . كما أني أعتز بصداقة الدكتور محمد حميد الله ، وأعترف له بالفضل في الاشراف على تصوير المخطوط وتزويدي بوصفه وصفا علميا دقيقا .

لقاء مع بدوي الجبل

اعداد : سلمان هادي الطعمة

بدوي الجبل .. شاعر ذاع صيته في الاوساط العربية وفي طليعة الشعراء المجددين المبتكرين في سوريا شعره قوي الأسلوب وقصائده زهور عطرة تنضح طيباً ونضارة . ذكره الدكتور سامي الدهان في كتابه (الشعراء الاعلام في سورية) ص ٢٢٨ فقال : اسمه محمد سليمان الاحمد ولقبه (بدوي الجبل) اشارة الى موطنه في جبال المنطقة الشاهقة ودلالة على بداوة الفاظه في شعره ، وقد اختاره له صاحب جريدة القبس .

أما الاستاذ أحمد قبش فقد تناول سيرة حياته مفصلا في كتابه (تاريخ الشعر العربي الحديث) ص ٢٧١ وقال : « ولد عام ١٩٠٨ وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في مدارس اللاذقية في سوريا خاض المعارك السياسية في عهد الانتداب الافرنسي ، كان من ابرزرجالات الحزب الوطني الذي يعملون في سبيل وحدة عربية شاملة انتخب عن اللاذقية في المجلس النيابي في ثلاث دورات واسندت اليه الوزارة اكثر من مرة وانتخب عن المجمع العلمي العربي عضوا عاملا بين اعضائه لمكانته في عالم الشعر . صدر اول ديوان له عام ١٩٢٥ ثم جمع الاستاذ مدحة عكاش بعض ما بقي من شعره في كتاب ... »

وذكره الاستاذ ادهم آل جندي في سفره القيم (اعلام الادب والفن) ج٢ ص ٣٣ واشار الى انه احد أمراء القريض في دولة العرب الادبية ورث الشعر عن والده الشاعر المعروف سليمان الأحمد ...

هذا وقد أفرد له الاستاذ الدكتور سامي الدهان دراسة مطولة لحياة الشاعر والوان من شعره في سفره القيم (الشعراء الاعلام في سورية) اضافة الى ما تقدم ان الاستاذ مدحة عكاش اصدر له مختارات من شعره بتاريخ ١ ـ ١٢ ـ ١٩٦٨ قدم لها تمهيدا قيما لسيرة الشاعر ومختارات من شعره .

زرت الشاعر بداره في دمشق بتاريخ ٧ / ٧ / ١٩٧٥ فرحب بي اجمل ترحيب ، وبعد حديث شيق دار بيننا هذا الحوار :

س١ : ماهي العوامل التي كان لها الاثر الفعال في نتاجكم الادبي ؟

ج ١ : الشاعرية تخلق مع الانسان الشاعر ، وقد كنا تحت الانتداب الفرنسي فنظمت الشعر حضا على الثورة . ضد الفرنسين وتصوير الانتداب الفرنسي بصورته الصحيحة الظالمة المسرفة في الظلم .

س ٢ : هل يمكن للشعر الحران يقف على قدميه ويثبت دعائمه بجدارة ، أم أن هناك عقبة كأداء تستوقفه عند حده ؟

ج ٢ : **انا لا أومن** بالشعر الحر مطلقا وأنا احترم السيدة نازك الملائكة واحترم بدر شاكر السياب ، ولكني لا أقر أسلوب الشعر الجديد حتى ولو كانا هما في طليعة من ينظمون

س٢ : ما هو رأيكم بالحركة الشعرية المعاصرة في الوطن العربي ؟

ج ٣ : الحركة في سوريا والعراق ولبنان ومصر لابأس بها، وهذا السؤال يحتاج الى جواب مطول لا مجال له الان .

س ٤ : بمن تأثرتم من الشعراء قدامى ومحدثين ؟

ج٤ لكل شاعر شخصته الخاصة ، قرأت للمتنبي والشريف الرضي ومهيار الديلمي والحماسة لابي تمام ، ولكن كما قلت الشاعر له شخصيته الخاصة ولا يجوزأن يتأثر بشخصية أخرى واذا تأثر بشخصية أخرى فقد شخصيته . ومن المحدثين تأثرت بأحمد شوقي وجميل صدقي الزهاوي .

س ٥ هل لكم اهتمامات أدبية عدا الشعر ، وماهو نتاجكم الادبي ؟

ج ٥ : ليس لدي اهتمام الا بالشعر . لدي ديوان قديم مطبوع سنة ١٩٢٥ باسم ديوان بدوي الجبل ، وعندي الان ديوان ولكنه لم يطبع بعد ، وليس في نيتي طبعه الان .

س ٦ : هل نظمتم في فن واحد أم في فنون شعرية متعددة ؟.

ج ٦ : نظمت في كل الفنون الشعرية ، الوطنية بالدرجة الاولى والغزل والوصف والرثاء ونشرت في الجرائد السورية ومصر ولبنان خاصة في جريدة الحياة .

س٧ : ماذا تحب أن تقدم للشباب الطالع ؟

ج ٧ : أحب أن يقرأ المتأدبون الشعر العربي القديم وفي مقدمته كتاب الحماسة لأبي تمام ، وان يبتعدوا عن الشعر الذي يسمونه حديثاً بالشعر الحديث ، فهو يفسد الذوق الأدبي .

كنت اخشى اخيراً ان اضايق الاستاذ الشاعر بدوي **الجبل وأحرم زواره واصحابه من الحديث ، فاستأذنت بالخروج بعد أن ودعته مصافحاً اياه على امل اللقاء به في** فرصة أخرى .

مع الآداب العالمية

في ذكرى الرفيقة كيم دجونغ سوك

كيم هي تونغ هوا

عندما أفكر بما انعم به الآن من حياة سعيدة في هذا العهد المجيد ، عهد الـ (تشوليما) ، وأحلق في التأمل بما يتحقق من منجزات معجزة في كل يوم ، تنتصب أمامي وجوه العديد من الرفاق ممن رافقوني خلال جميع المحن في كفاح الانصار ضد اليابانيين ، وتعاودني ذكريات كثيرة عن أحداث تلك الايام ...

وكانت بين الرفاق ، الرفيقة (كيم دجونغ سوك)، وهذه ، بصورة خاصة ، هي ممن لا يمكن نسيانهم أبدا . فلقد قابلتها لاول مرة في قاعدة الانصار في (وانغ يوكو) في مقاطعة (يين شي) حيث كنت أعيش عيشة الانصار . وعشنا معا منذ ذلك الوقت ، وهكذا فقد تعرفت على تاريخ حياتها الماضية ، وكشفت نبل شيمها وسجاياها وطباعها .

فلقد فقدت ابويها وهي لا تزال طفلة ، وعانت الكثير من المحن والمصائب ، وصبرت على الجوع والبرد . وكان أبوها عاملا زراعيا . وكانت على صغر سنها رقيقة تعرف كيف تضغط على أسنانها وتصبر . وكانت تكره النظام الاجتماعي الظالم ! وتعرف من هم أعداؤها الطبقيين ، ولا تخطىء في هذا أبدا .

وعندما التحقت بفرقة الاولاد ، وكان تأثيرها الثوري عليها عميقا ، دخلت في الحياة التنظيمية ، وكانت متيقظة تماما وواعية . وعرفت كيف تقطع الكيلومترات وحيدة في الليل دون خوف ، لتنفيذ مهمة اتصال لصالح التنظيم الثوري ، والتسلل الى داخل ثكنات الجيش الـ (ماندشورى) لتلصق المناشير على جدرانها .

وازدادت وحشية الاعداء وهمجيتهم وشراستهم في ارتكاب الجرائم الفظيعة ، وأحرقت القوى الانتقامية منزلها ، فالتحقت بقاعدة الانصار في (وانغ يوكو) ومعها أخوها الصغير .

ومنذ الوهلة الاولى ، أحب المقاتلون الانصار والعاملون في القاعدة هذين اليتيمين ، كما لو أنهما كانا ولديهما ، واعتنوا بهما ، واحاطوهما برعاية عميقة ،

وفي ذات يوم من أيلول ١٩٣٣ ، قامت القوى التاديبية بهجوم مباغت على القاعدة ، واحرق الهمجيون الاوباش جميع المنازل وقتلوا العزل من الاولاد والشيوخ دون رحمة وهم يتسلقون الجبل بحثا عن مكان آمن يلجأون اليه . وفقدت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) شقيقها الوحيد في ذلك اليوم ، فأضيفت بذلك الى مصائبها جميعا مصيبة جديدة .

وكانت تبكي وهي تمسك بأخيها وتضمه الى قلبها وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة ممسكا بيديه الصغيرتين حفنة تراب نحته من الارض عندما اشتد به الالم ... ولعنت العدو بحقد لا ينطفىء ، وأقسمت على الانتقام . وكررت قسمها مرات ومرات بأن تقاتل وتناضل وتنتقم ، ولو كلفها ذلك حياتها .

ولما كانت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) عضوة في اتحاد الشبيبة الشيوعية ، فقد تولت ادارة العمل في فرقة الاولاد في (بين تونغ) من (وانغ يوكو) . وشح الغذاء ونفذت المؤن والملابس ، والعدو يهاجم بقواته الانتقامية دون هوادة . ولكن مهما تكن الاشكالات ، فقد كانت هي ترعى أولادها بعناية فائقة ، وتربيهم بحيث يصبحون مقاتلين جديرين بالثقة . وبنفس الوقت فانها لم تنس ، ولو لحظة واحدة ، واجباتها الثورية ، في تشجيع الناس في

القاعدة وجمع شملهم وتعبئتهم وشحذ عزائمهم وتجنيدها لمساعدة الانصار ·

لذلك فقد أحبها جميع العاملين في القاعدة ، الشباب منهم والكهول على حد سواء ، وأطلقوا عليها اسم : (رئيسة فرقتنا) و (عزيزتنا دجونغ سوك) · وقد تجلت مناقبها كسيدة ، أكثر فأكثر ، عندما عاشت حياة الانصار ، حيث أصبحت نموذجا تقتدى به بقية السيدات الانصار ·

وقد التحقت الرفيقة (دجونغ سوك) بجيش الانصار بعام ١٩٣٥ في (شي شانغ تزو) حيث عملت معي بصفة طباخة · وأثناء العمل مع الرفيقة (كيم دجونغ سوك) ، امتلأت اعجاباً بحبها الحار لرفاقها الثوريين ·

ولقد كانت حياتها في تلك الفترة في (شي شانغ تزو) صعبة تفوق حدود الوصف · وكانت الامور عسيرة كذلك بالنسبة الينا نحن الطباخات ، نحن اللواتي كنا نحمل مسؤولية تأمين وجبات الطعام جيدة للانصار · وكنا أحيانا منهوكات القوة الى أقصى حدود بعد أن نكون قد تجاوزنا عن تناول عدة وجبات ، الا أنه كان علينا ، رغم ذلك أن نتسلق الجبل كل يوم ، لنجمع الجلدة الداخلية لقشر شجر الصنوبر ونستعمله في اعداد وجبات طعام المناضلين · وعندما نفذت المؤونة هنالك فوق القمة المنبسطة ، كان علينا أن نجتاز الزوايا الوعرة والمنحدرات ، رغم صعوبة مسالكها ·

وكنا منهوكات القوى تماما ، فترتمي الواحدة منا الى أسفل شجرة صنوبر ، وذراعاها ملفوفتان حول جزعها وتنام نوما عميقا والمنجل بيدها ·

وحصلت ذات يوم على نصف قصعة من الدقيق مصادفة · واتفقنا : الرفيقة (دجونغ سوك) وأنا على اعداد وجبة خاصة لرفاقنا في السلاح فسحقنا الجزء الداخلي من قشور الجزوع حتى غدا أشبه بالقطن ، ومزجناه بالدقيق وسلقناه وحولناه الى فطائر كأقراص الحلوى المجمدة ، ثم قلبنا جعبنا رأسا على عقب ، علنا نجد بعض حبات الفاصوليا ، وسلقناها وغطينا بها أقراص الحلوى وعندما أصبحت وجبتنا الخاصة جاهزة ، لم يبق علينا الا انتظار أن يحين موعد الغذاء ·

وعندما حان موعد الطعام ، قدمنا الفطائر للرفاق ، فأدهشوا وسألوا من أين جئنا بمثل هذه الفطائر اللذيذة وأكلوا بشهية ، وقالوا ان هذه الفطائر ألذ بكثير من فطائر الارز بالعسل ، الحلوة الدابقة ·

واستندت الرفيقة (دجونغ سوك) الى باب المطبخ ، وراحت تنظر اليهم وهم يأكلون ، وارتسمت على وجهها ابتسامة السعادة · وعندما أشرف الطعام على نهايته ، أسرعت الرفيقة (دجونغ سوك) ودخلت المطبخ ، ثم خرجت منه ومعها بعض الفطائر الاضافية ووزعتها بين الرجال ·

ورفض الانصار أن يأكلوا منها ، وطلبوا منا أن نأكلها · الا أن الرفيقة (دجونغ سوك) أجبرتهم على قبول الفطائر وهي تقول : لقد أكلنا منها الكثير ، وهذه الكمية فائضة · وأخرجنا الفطائر جميعا ووزعناها على الانصار ، فأخذوها وهم يعتقدون بأننا تناولنا وجبتنا ·

وعندما آوينا الى فراشنا للنوم في تلك الليلة ، سألتها عما اذا كانت جائعة · فأجابتني بهدوء : عندما كنت أنظر الى وجوه الرفاق وأتأمل السعادة المرتسمة عليها ، نسيت تماما بأنني كنت جائعة · أوتظنين أن الانسان لا يحس بالشبع الا عندما يأكل ؟ اذا كان بوسعي أن أسعد الرفاق الى هذا الحد ، فانني أعتقد أن بامكاني الاستغناء عن الطعام ·· (ماما مي نونغ هو) ، انني سعيدة جدا هذا المساء ·

ولقد تأثرت جدا اذ كان قلبها يجد الفرحة والسعادة الحقيقية في خدمتها لرفاقها ، فضممتها الى صدري · لقد كان حبها حارا الى حد أنها كنت تكرس نفسها تماما لخدمة رفاقها وهي على أتم الاستعداد لان تجازف بحياتها من اجلهم ·

لقد كان حبها لرفاقها مرتكزا على المبدأ ارتكازا كاملا · كانت تعرف كيف تربي الاخرين بأن تكون هي نفسها قدوة حسنة لهم وعبرة في سلوكها وأخلاقها ، فحظيت باحترام رفاقها في السلاح واستحوزت محبتهم وحنانهم بحرارة وعمق ·

وهاكم قصة أخرى : فبينما كانت فرقتنا تسير مرة عبر غابة نحو جبل (ني تو) التقت بالعدو فجأة واذا كنا قد أفلتنا وتحقق لنا الخلاص من ذلك الموقف الحرج فبالكاد ··

وعندما بلغنا مبتغانا ، وقد تركنا العدو على بعد مسافة خلفنا ، لاحظنا أن واحدا من المجندين حديثا ممن التحقوا بنا مجددا ، وقد عمل مع العصاة المتمردين في الجبال قبلا ، قد فقد مسدسه خلال ما عم من ارتباك ، وعندما التقينا بالعدو · وكانت الرفيقة (دجونغ سوك)

أول من لاحظ ذلك ، فسألت المجند عن مصير مسدسه ، ولم يلاحظ أنه فقد سلاحه الا عندما شاهد الحزام مقطوعا يتدلى من الغلاف ، فدهش وطاش وعيه وداخ ، ولم يعد يدري ماذا يفعل ٠

واقترحت الرفيقة (دجونغ سوك) أن تعود معه الى الخلف للبحث عن السلاح المفقود ٠ ولكن الرجل تراجع وهو يتمتم شيئا حول الرجوع الى الوراء ، والاعـــداء يلاحقوننا ٠ فقالت الرفيقة بصوت دافىء والقسوة واضحة فيه : « اتدري كم يكلفنا هذا السلاح ؟ وهل تعلم ان هذا السلاح قد كلف دم رفاقنا وأرواحهم ؟ ولسوف تندم ندما مريرا اذا ما وقع بأيدي العدو واستعمله ضدنا » ٠ فأطرق الرجل برأسه ووقف صامتا ٠ وجرته الرفيقة (دجونغ سوك) من يده واقتادته وعادت به الى الخلف ، وهبطت المنحدر حيث كانت لا تزال تسمع أصوات اطلاق نـــار متقطع متواتر ٠

ولم يمض وقت طويل الا وكانا قد عادا ومعهما المسدس ، لقد علق سيره بأحد الاغصان وقطع ٠ واندهل الجميع لسلوكها المثالي ٠ واحمر وجه المجند واكفهر ، وعوضا عن أن يكفر باخفاقه ، فقد راح يرجو بألا يعلم الرؤساء بذلك الحادث ٠

ومشت الرفيقة (دجونغ سوك) الى جانب الرجل طوال الطريق وهي تحدثه بجد ، وتقنعه بأن عليه ألا يحـاول كتم اخفاقه ، وانما عليـه أن يبدو صريحـا في موضوعه وان يقبل انتقاد رفاقه بالرضى وطيب النفس ٠ وركزت على فكرة : أنه اذا ما قبل الانتقاد بروح طيبـة متفتحة ، فلن يرتكب مثل هذا الخطأ بعد اليوم قط ٠ فأحرج حتى بكى ندما ، ووقف وانتقد نفسه علنا أمام رفاقه ، وأقسم على أن يكون مجاهدا جيدا ٠

وبهذه الطريقة ، فقد كانت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) لا تمتاز بكونها رفيقة ثورية خلال الكفاح العنيف وحسب ، وانما كانت تقوم بواجباتها الثورية باخلاص ، ناذرة نفسها لصالح خدمة الثورة ٠

وفي عم ١٩٣٧ ، أرسلت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) الى منطقة (تشايغ بيه) كعاملة سياسية مرتبطة بقيادة الرفيق (كيم ايل سونغ) مباشرة ٠ ونجحت في مهمتهـا الثورية متحدية مراقبة الاعداء وعيونهم ، وتمكنت من الثورية متحدية مراقبة الاعداد وعيونهم ، وتمكنت من الاتحاد ، في هدف اعادة بناء الوطن ٠

وبينما كانت تعلم أعضاء الاتحاد النسائي أناشيد ثورية ذات مرة ، ابان قيامها بنشاطاتها في منطقـــة (تشايغ باي) خلال خريف ١٩٣٧ ، ألقي عليها القبض وعذبها الاعداء عذابا أليما ٠٠٠

« لا تقلقوا ، واذا قتلت فلا تحزنوا ، فسوف يبقى التنظيم قائما ، انني أرسل اليكم بقطعتين نقديتين قيمة كل منهما (وون) ، وهو كل ما أملكه من حطام الدنيا ، وأرجو أن تضيفوهما الى رأسمال المنظمة ٠٠٠ (الـ وون يعادل ليرة سورية واحدة) ٠

تلك كانت كلماتها التي أرسلت بها الى المنظمـة عندما كانت تتأرجح بين الحياة والموت ٠

ولقد وجد الاعداء في المنزل الذي كانت تقيم فيه ، ملابس رسمية وضبارة مرسلة الى وحدة الانصار ٠ فأرسلت الى قرية (ياو فانغ تزو) ، وحبست هناك في منزل أحد الفلاحين وعذبت ونكل بها بوحشية وقسوة ، وهددت بالموت ان هي لم تبح بأسرار وحدة الانصار ٠

وكان مصير المنظمة الثورية برمته مرتبطا بشجاعتها كثورية ٠ فتحملت تعذيب الاعداء واحتفظت في نفسها باسرار المنظمة ، وكانت عند حسن ظن المنظمة بها وما توليها من ثقة ٠ وأنقذتها القوى الثورية فيما بعد خلال حملة سرية شنتها على الاعداء ٠٠

ولقد كانت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) تقوم دائما بواجباتها الثورية بشرف واخلاص ، مهما كانت الظروف صعبة وقاسية ، فنجحت بمهماتها جميعا حتى النهاية ٠

وبينما كانت تعمل في قاعدة الانصار كطاهيـة ، وقعت الاحداث التالية ذات يوم :

كانت تضع فطرا في قدر حساء الحريرة وهو يغلي فوق النار ، عندما هاجمت المكان قوة انتقامية معادية ٠ وكان الموقف خطرا حرجا ، الا أن الرفيقة (كيم دجونغ سوك) كانت تدرك أنها اذا ما تركت القدر بمكانه ونجت بنفسها ، فلن يتوفر للمقاتلين طعام بذلك اليوم ٠ فقررت أن تحمل القدر معها مهما بلغ الثمن ٠ فأسرعت وصنعت من أغصان الشجر وسادة جعلتها على رأسها ، ووضعت القدر الحارق فوقها وتسلقت الهضبة ولحقت برفاقها في السلاح متحدية رصاص الاعداء المنهمر كزخ المطر ٠

وعندما بلغت قمة الهضبة ، كانت فروة رأسها قد

احترق أكثر من نصفها وانتفخت ، ولكنها لم تبال بحروقها، وقدمت الطعام للمقاتلين فورا ٠

وهز اخلاصها لواجبها الثوري ، واحساسها بالمسؤولية على هذا المستوى العالي ، مشاعر رفاقها المقاتلين هزا عميقا ، وأدهشتهم بما برهنت عليه من أمانتها واخلاصها واستقامتها بهذا القدر من الحرارة ، وهي تحافظ على حساء الاعشاب ، فجدد المناضلون العهد على كنس الاعداء كنسا ٠

وما أكثر ما خلفت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) من حكايات مثيرة من هذا القبيل خلال الثورة ٠

وفي المسيرة القاسية التي دامت أكثر من مئة يوم في شتاء ١٩٣٨ أيضا ، فقد حملت قدر المطبخ على ظهرها يوما لتتمكن من غلي الماء واعداد الوجبات للمناضلين ٠ وفي معارك خريف ١٩٣٩ القاسية ، في الغابات الى جوار نهر (أول جي) ، وبينما كانت تعمل مع أعضاء مجموعة الخياطين ، فقد خاطت ليلا ونهارا طوال أكثر من شهر ، لتصنع للانصار مسبقا ، بعض الملابس الشتوية ٠ وكان كل حادث عابر يضيف برهانا جديدا على عمق احساسها بمسؤوليتها وعلى صلابة ارادتها في القيام بواجباتها الثورية ٠

ولا بد من الاشارة بصورة خاصة الى أن الرفيقة (كيم دجونغ سوك) كانت تكن للمقر العام للثورة اخلاصا عظيما ، وتدافع عنه معرضة حياتها للخطر ، متحدية النار والماء في سبيل تنفيذ أوامره ٠

وخلال أكثر من خمس عشرة سنة بطولها ، لم تنس لحظة واحدة ، لا الثورة ولا الزعيم ٠ لقد كانت مقتنعة قناعة عميقة راسخة ، بأن الثورة الكورية لا بد ناجحة مظفرة ما دامت بقيادة الجينيرال (كيم ايل سونغ) ٠ ومهما تعرضت له من كوارث ومحن ، فقد كانت تشد أسنانها بعزم وتلتزم بمبادئها الثورية بصلابة تامة ٠

وفي ربيع ١٩٣٦ ، صادفت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) وأنا معها ، الرفيق (كيم ايل سونغ) لاول مرة، في غابة قريبة من (مان شيانغ) في مقاطعة (فوزونغ)، وكنا نقدسه دائما منذ القديم ٠ ولا شك في أن الرفيقة (كيم دجونغ سوك) قد سعدت جدا بلقائه ، وانني أذكر ذلك بوضوح تام ٠ وكنا بذلك اليوم قد نقلنا الى الفرقة السادسة لجيش الثورة الشعبية الكورية بقيادة الجينيرال (كيم ايل سونغ) مباشرة ٠

وامتلأ قلبانا حبورا وسرورا اذ فكرنا بعظمة شرف أن نكون من عداد مقاتلاته ، فعقدنا العزم على أن نقوم بواجباتنا باخلاص تام ، وأن نلتزم بالخط الذي يرسمه٠ وأصبحت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) بعد ذلك مقاتلة مخلصة بأمر الجينيرال (كيم ايل سونغ) شخصيا ٠ فأينما وجدت وفي أي وقت ، فقد كانت تعيش وتقاتل متوافقة مع ارادة الجينيرال (كيم ايل سونغ) ومع أفكاره ومبادئه الثورية توافقا تاما ، ولا تزيح عن ذلك الموقع بوصة واحدة مهما كانت الظروف ٠

وقد أرسل الجينيرال (كيم ايل سونغ) ذات يوم من شتاء ١٩٣٨ ، أثناء مسيرة قاسية دامت مئة يوم ، أرسل الشوخ والمرضى الى معسكر سري في (تشونغ بونغ) في مقاطعة (تشانغ بي) ، بحراسة الرفيقة (كيم دجونغ سوك) وغيرها من سيدات الانصار المعينات للعناية بهم ٠ ومنذ ربيع تلك السنة ، ووفقا لتعليمات الجينيرال (كيم ايل سونغ) ، فقد كان هنالك بعض الانصار يعملون في مجالات التموين ٠

وبينما هي في وسط المعسكر ، حصل موقف خطير جدا ، بسبب بعض العناصر الفاسدين ممن التحقوا ، بمصادفة محضة ، بوحدة الانصار ، وكانوا قد فقدوا كل ارتباط بالمقر العام ولا يكنون له أي ولاء ٠

فانحسروا في ذلك المكان الامن بينما كانت قوى الانصار الرئيسية تخوض معركة عنيفة لفك حصار العدو، وكان هؤلاء الفاسدون يتآمرون سرا وعلانية لقلب المقر العام للثورة ، واتهموا الرفيقة (كيم دجونغ سوك) ظلما وبطلا ، كما اتهموا مقاتلين آخرين ممن كانوا يحمون خط الجينيرال (كيم ايل سونغ) الثوري ويحمون المقر العام ٠

وهنا أيضا فكرت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) وتصرفت وفقا لمبادىء الجينيرال (كيم ايل سونغ) الثورية ووفقا لارادته بدقة تامة ، وبقيت صامدة ، وقاتلتوكافحت العناصر الفاسدة بعزم وتصميم ٠

وبفضل المواقف المبدئية التي تبنتها الرفيقة (كيم دجونغ سوك) ووقفتها بصلابة ، فقد كشفت طبيعة هؤلاء الاوغاد على حقيقتها ، وانزلت بهم في النهاية عقوبات صارمة يستحقونها ٠

انها لم تدافع عن المقر العام للثورة من الوجهة العقائدية وحسب ، وانما كانت تحميه كذلك من خطر

ازالته وافنائه • ولما كانت تعمل كطباخة في المقر العام ، فقد كانت تنجز واجباتها بصدق وأمانة ، مهما كانت الظروف صعبة • تؤمن بنفسها حماية لشخص الجينيرال (كيم ايل سونغ) •

وكان الجينيرال (كيم ايل سونغ) يقود فرقة من الحرس المرتبطين مباشرة بالمقر العام ، ذات يوم من خريف ١٩٣٩ ،وفيما كانوا بطريق العودة ، وفي احدى المخارج في ضواحي (ها نيانغ كو) في مقاطعة (آن تو) ، وكانت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) تلحق بالفرقة بصفتها طباخة •

وبلغت الفرقة نهر (تاشا هو) في مقاطعة (آن تو)، وكانت تنتصب من خلفهم هضبة ، ونهر (تا شا هو) يسيل من أمامهم • فتوقفوا على ضفة النهر لاستراحة قصيرة ولما بدأوا بالاستعداد لاستئناف المسير ، وما هموا بالحركة والعبور حتى انفجرت أصوات اطلاق النار ، وأمطر طرف الماء بوابل من الرصاص •

لقد علم العدو بأن الجينيرال (كيم ايل سونـغ) كان موجودا في الفرقة ، فانطلق في أعقابه يلاحقه ، فحظي بالفرقة وأدركها في هذا المكان ، وراحت رشاشاته تطلق النار من قمة الجبل •

وكانت الفرقة في موقف حرج جدا ، فان هي عبرت النهر ، ركز عليها العدو ، وأصلاها نارا حامية وكبدها خسائر فادحة جسيمة • ولم تكن الفرقة لتنجو من هذا الموقف الخطير لولا أن عالج الجينيرال (كيم ايل سونغ) ذلك الموقف بقيادته الفذة الجريئة وبراعته ومهارته •

فما أن فتح العدو النار حتى أخذ الجينيرال مسدسه وأعطى الامر بالهجوم على الهضبة • فصدح البوق بصوت شق عنان السماء ، والتهب المقاتلون حماسا واندفعوا نحو الهضبة وكأنهم نمور غاضبة وهم يصيحون : (مان سيه) أي (هيا ، عليهم) •

وسرعان ما تبدل الموقف وانقلب ، اذ أشاع هجوم فرقتنا ذعرا وهلعا بين صفوف الاعداء ، فاتخذوا موقف الدفاع بينهما كانوا هم المهاجمون ، الا أنهم لم يتركوا الهضبة •

وفي أوج احتدام المعركة ، اتخذ الجينيرال موقفا له فوق صخرة في منتصف الطريق الى أعلى الهضبة ، وقاد المعركة من هناك • ووقفت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) تحمي الجينيرال محترسة بانتباه ، فكشفت عديدا من جنود العدو هنا وهناك ، وهم يزحفون بين القصب والشجيرات، وبنادقهم مهيأة لاطلاق النار ••• لحظات حرجة خطرة في الحقيقة ، فهبت في الحال وحمت القائد وقتلت أول جندي عدو ، اذ شاهدته وهو يسدد بارودته نحوهما • وقبل أن تدرك حقيقة ما جرى ، كان القائد قد أصاب الجندي الثاني فوق كتفهوأرداه قتيلا • وقضت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) على الثالث ، وعالجا بقية الاعداء وقتلاهم واحدا تلو الاخر في نفس المكان •

••• وليس هذا الا واحدا من الامثلة الكثيرة على شجاعتها ، وما أكثر الامثلة طوال الكفاح العسير الضاري•

وعندما يلوح الخطر ، كان المقاتلون المخلصون للزعيم يحمون قائدهم ويجعلون من أجسادهم درعا لوقايته وحمايته ، وهم على أتم الاستعداد للتضحية بأرواحهم في سبيل حمايته وانقاذه ، تماما كما فعلت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) •

••• وما أن عادت الرفيقة (كيم دجونغ سوك) الى الوطن بعد التحرير ، حتى كرست كل ما فيها من طاقات لخدمة الحزب والثورة ، وسخرت حتى آخر لحظة من أيام حياتها ، كل ما تجمع لديها من حكمة وخبرة ومعرفـة ، نتيجة لما اكتسبته من خلال تجاربها الطويلة ، وقد خاضت غمار الكفاح المسلح ضد اليابانيين بصلابة كصلابة الفولاذ•

فحياة كهذه هي مصدر ايحاء للشعب الكوري برمته، وهو يقوم اليوم بواجباته الثورية على خير وجه ، انها نموذج في الاخلاص للحزب وللزعيم وللثورة ، لا تحده حدود ، وفي الحب العميق للوطن وللشعب ، انه النموذج لعزيمة تقاتل العدو الطبقي بلا هوادة ، انها تنم عن حب الرفاق الثوريين •